نوابغ المدرسة المارونية الاولى

جبرائيل الصهيوني

١٥٧٧-١٦٤٨

بقلم الاب اغناطيوس طنوس (كفرشخنا)
الراهب اللبناني

كان « المشرق » قد نشر اربعة ابحاث في « نوابغ المدرسة المارونية الاولى في رومة » خطّها قلم العلم والتاريخ ، المرحوم الخوري بطرس شالب ، باريسة ان اعلام الموارنة هم البطريرك جرجس عميره(١) والمطران بطرس ضومط مخلوف(٢) والمطران اسحق الشدراوي(٣) وابراهيم الحاقلاني(٤) . وها ان الاب اغناطيوس طنوس يلخص اليوم هذا البحث الواسع بثابتة لا يقلّ سمة عن وعمق تأثير عن السابقين ، ان لم نقل يتوقهم ، الا وهو القسّ جبرائيل الصهيوني الاهدني ، مدرّس اللغات والعلوم الشرقية في جامعات رومة والبندقية وباريس ، وترجمان الملك في البلاط الفرنسي .

اسرة الصهيوني ونشأته

لقد من عائلة كرم الشهيرة في اهدن - زغرتا ، المعدولة عن عائلة « الصهيوني » العريقة في اسيطانيا اهدن . وقد سمّى المؤرخون جدها الاول « رئيس اهدن » . وقيل انه من سلالة صليبية ، قدم اهدن من صهيون ، في بلاد العاربين ، في اواخر القرن الرابع عشر ، فلقب بالصهيوني. وذهب لقبه اسماً مشهوراً لذريته . وظلت هذه الاسرة صهيونية في شهرتها حتى

١) المشرق ٢٢ [١٩٢٤] ٢٤١ ، ٤٢٨ ، ٤٩٧ ، ٥٨٦ ، ٧٠٨
٢) المشرق ٢٢ [١٩٢٤] ١٧ ، ١٠٠
٣) المشرق ٢٣ [١٩٢٥] ٤٢٠ ، ٥٠٦
٤) المشرق ٢٨ [١٩٣٠] ١٨٦ ، ٢٥٠ ، ٢٤٢

اوائل القرن السابع عشر ، حيث اشتهر منها ابو كرم صهيون ، على اجماع المؤرخين ، وكان مسامحاً كريماً غلّب اسم « بو كرم » على اسمه الحق تكرمه الزائد . واهله الجود والتدين ، والنفوذ والوجاهة ، لعطف امير لبنان الاكبر ، فخر الدين العظيم ، عليه . فولّاه الحاكمية على جبة بشراي حول العام ١٦٢٤[1] .

ولقد انجبت الاسرة الصهيونية غير واحد من شخصيات التاريخ : كالمطران يعقوب الصهيوني ابن رئيس اهدن ، سُقّف على ابرشية اهدن عام ١٤٧٣ ، وتوفي عام ١٥١٣ ؛ وهو الذي استند الى بسالة الاهدنيين وسواعدهم نشتت اليعاقبة طرداً من جبة بشراي سنة ١٤٨٨ ، عندما استفحل امرهم وامرُ حاميهم عبد المنعم ، مقدّم البلاد البشراوي . وذلك نزولاً عند اوامر البطريرك بطرس بن يوسف بن يعقوب الشهير بابن حسّان ، من حدث الجبة ، الذي تولّى العرش الماروني (١٤٥٨–١٤٩٢)[2] .

والمطران مخائيل الصهيوني ، خريج مدرسة رومية المارونية الاولى ، احصاه العلّامة الدويهي بين المطارنة الاثني عشر ، تلاميذ رومية[3] .

ورئيس الكهنة البريوط انطونيوس بن اوفيساني الصهيوني ؛ ارسل الى رومية صبية نسيبه مترجمنا جبرائيل عام ١٥٨٣ ، وتلقى العلوم في المدرسة المارونية هناك . وعاد الى لبنان فترهب ، وصار كاهناً ، ثم بريوطاً ، ورئيس كهنة . واشتهر بنسخ الكتب : فنسخ عام ١٦١١ اسفار العهد الجديد التي اعتمدها سرجيوس نمرون الباني وطبعها برومية سنة ١٧٠٣ ؛ ونسخ كثيراً غير ذلك مما بلغت صفحاته ٤٤٩٠ ونيفاً في كتب عديدة تحتفظ بها الى اليوم المكتبة الماديشية في فلورنسة بايطالية تحت الارقام : ١٧٦ و١٧٧ و١٧٨ و٢٧٤[4] .

---

١) اقرأ « لبنان ويوسف بك كرم » لصديقنا العالم البحاثة الخوري اسطفان البشلاني ، ٨٢ . ثم كتابنا « البيت الكرمي في اهدن » ص. ٨–٩

٢) تاريخ الموارنة للبطريرك الدويهي ، طبعة رشيد الشرتوني ، ص ١٤٣ ، ثم كتابنا المذكور ص ٩

٣) الحلل « الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية » للاب لويس شيخو ، ص ١٢٢

٤) « المكتبة الماديشية » للعلامة المطران اسطفان عواد السمعاني ، ص. ٥١ . ثم « الجامع المفصل » للمطران الدبس ، ص. ٢٨٨–٢٨٩

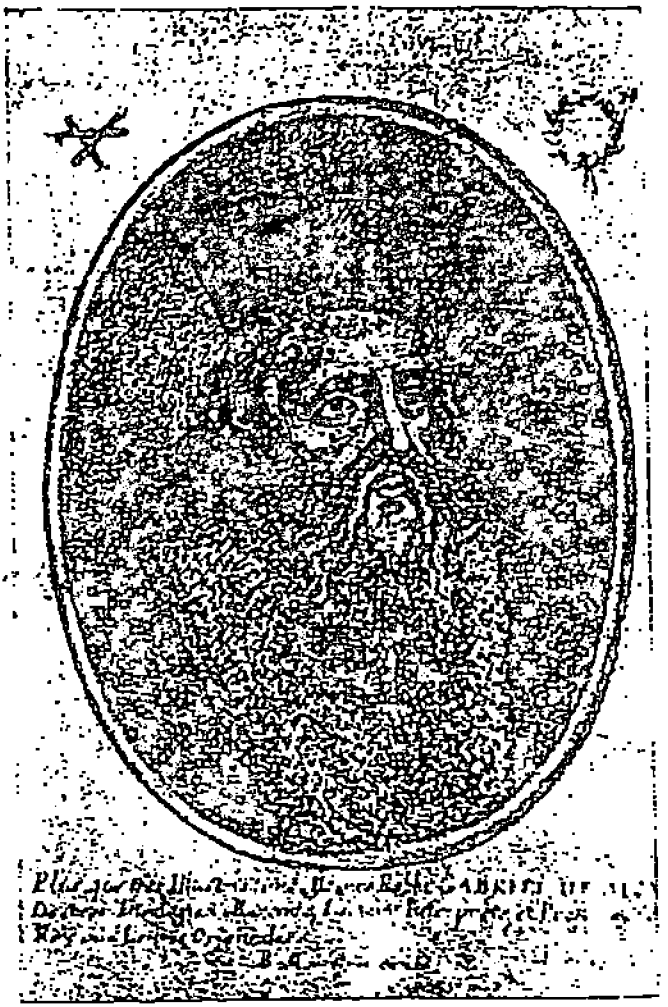

« Plus que très Illustrissime Rabbi Gabriel de Sion
« Docteur Théologien Maronite, Lecteur, Interprète
« et Professeur du Roi aux Lettres Orientales ».

وحوالى رأسه شاره الكهنوتي ، وهو كما تراه العين ، ثلاث شمسات منيرة لثلاث جهات ، واكليل من زهر ، كان يرمز بذلك الى فضائل او خطط اختطها لنفسه .

والخوري ابرهيم الصهيوني ، عم العلّامة الصهيوني ، استسلم للنسك البليغ في محبسة مار سركيس اهدن طوال خمسين عاماً . وبلغ من القداسة حدوداً قصية[1] .

اجل من هذه الاسرة العريقة ، تحت سماء اهدن الجميلة ، رأى نور هذا الكون العلامة القس جبرائيل الصهيوني عام ١٥٧٢ ، وترعرع على فضائل والديه الورعين . وقد افادنا البطريرك الدويهي عن والد جبرائيل قال : « جبرائيل بن صهيون الاهدني[2] » ويؤيد ذلك ما درج عليه المترجم به في كتابة اسمه في اللغات الاوربية هكذا : « گبريال دي سيون ، او سيونيت ، او سيونيتا » (Gabriel de Sion, Sicnite, Sionita) . او الاهدني (Ehdenensis) وتلقن صاحب الترجمة من مبادئ الدروس السريانية ، والعربية ، والتركية ، قدر ما تستطيع تلقينه مدارس لبنان ، اذ ذاك . تلك الدروس ، على قلة شأنها وضيق نطاقها ، كانت الكوة الصغيرة الضيقة انفتحت على مواهب الفلام جبرائيل واهليته وذكائه امام بصائر الرؤساء فتفاءلوا كبير الخير وباهر النّد لذلك الصبي ، اذا هم وفروا له سبل الثقافة في محيط يساعده على تمرين ذكائه وتحقيق استعداده .

الصهيوني في رومية

دروسه – اعماله – شهرته

كان الصهيوني في ريعان الينابيع من الحياة عندما قرّر الرؤساء وجوب ارساله الى عاصمة العلوم رومية المعظمة . وفي اواخر العام ١٥٨٣ ، سيّر البطريرك سركيس الرزّي (١٥٨١–١٥٩٧) وفداً الى رومية قوامه الخوري يوحنا ايوب الحصروني ، والرهبان : القس يعقوب الدويهي ، والقس يعقوب سركيس من حردين ، والاخ الشماس ابرهيم بن سمعان من ادنيت ، ليرفعوا الى قداسة البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢–١٥٨٥) عرائض الشكر على درع الرئاسة البطريركية . واصحب البطريرك وفده هذا اولاداً عشرة للتخرج في مدرسة رومية المارونية الجديدة

---

١) تاريخ اهدن الديني للاستاذ سمعان خازن ، ص . ١٦٢

٢) كتاب الدويهي المذكور ، ص . ٢٠٠

آنذاك[1] وهم: جبرائيل الصهيوني صاحب الترجمة، ونسيبه انطونيوس بن اوفيسياني الصهيوني الآنف الذكر، وجرجس عبده البطريرك فيما بعد (١٦٣٣—١٦٤٤)، وجبرائيل نعمه، الاهدنيون؛ ثم موسى سعد العتيقي من العاقوره[2]، وخائيل صليبا من بسلوقيت، ويعقوب بن خائيل من لقفوسية، وحنا بن جرجس فرنو، وجرجس انطون، وبطرس بن جبرائيل المطوشي القبارسة. وكانت بغتة هؤلاء الطلاب الثالثة من نوعها لاقتباس العلوم في رومية[3].

وصل الصهيوني جبرائيل الى ام المدائن والنور، في ذلك الموكب الماروني، واستسلم هناك للانكباب على قناطر الدرس والتحصيل. وقد سكت التاريخ السكوت كله عن اي ذكر لرجوع الصهيوني الى لبنان، مما يتم الدليل على ان خروجه من لبنان الى رومية، في ذلك الموكب المعهود، ربما كان نهائياً ما عقبه رجوع ما؛ وان النظرة التي القاها من عرض البحر اذ ذاك، على جبالنا هذه العزيزة، ربما كانت ايضاً اخر عهد له بوطنه لبنان. ذلك الوطن سترى كيف كان يقدسه، على اسماع محدثيه، عند كل مؤاتية تدعوه الى ذكر بلاده؛ ويتغنى دوماً بامجاده وبان العربية هي لغته الام، وبانه من عائلة مقدسة، على الرغم من هجره اهله وبلاده وهو في السابعة من عمره[4]. واذا ثبت ان ذلك الهجر كان نهائياً، اتضح للعقل ان السبب في ذلك لا بد ان يكون ناشئاً عن موت ابوي جبرائيل وسائر اهله الادنين. فقضى ذلك على كل عاطفة اهلية فيه تجذب المرة طبيعياً الى اهله وبيت ابيه، ولا سيما اذا كان الهجر في الربيع السابع.

قضى جبرائيل على مقاعد التحصيل في جامعة البروبنده الاعوام الطوال اللازمة لادراك الغاية الاخيرة من المعارف الوسيمة في اللغات والعلوم، متقلباً بين الطروس والمحابر في المعاهد والمكاتب. والعجيب في انه لم ينل شهادة دكتور

---

١) تأسست المدرسة المارونية في رومية بموجب براءة اصدرها البابا غريغوريوس ١٣ بتاريخ ٣١ ك٢ عام ١٥٨٢

٢) طران قبرس فيما بعد (١٥٩٨—١٦١٦).

٣) الجامع المفصل للدبس، ص. ٢٤٧. ومجلة المنارة ٦ (١٩٣٥) ٦٦٢ و٦٦٦

٤) «دائرة المعارف الكاثوليكية» بالانكليزية، طبعة نيويورك، حرف G

في اللاهوت العام الا سنة ١٦٢٠ ، ولم يرسم كاهناً الا بعد ذلك بسنتين ، وذلك عقيب استيطانه باريس ، كما سيجيء[1] . وتضلّع في دروسه من اللاتينية ، والايطالية ، والعربية ، والتركية ، والسريانية ، والكلدانية ، واليونانية ، والعبرانية ، وهذه الاخيرة حصل فيها على لقب رابي (Rabbi) الخاص بعلماء اليهود والحاخامين ، كما تقرأ ذلك تحت رسمه في صدر هذا البحث . ثم اتقن الفرنسية في باريس .

وما كاد ينتهي علومه حتى تبوأ المكانة العالية من الشهرة في اوساط رومية ومجالس العلماء ، ونال الاعتبار والقدر الحق لدى اولياء كلية السبيانه (الحكمة) ، من جامعات رومية الشهيرة ، فانتدبوه لتدريس العربية والسريانية في صفوفها . ثم انتدب لنفس المهمة في مدارس البندقية الكبرى ، فقام بكل ذلك القيام المشرّف اعجب به رجال العلم البارزين في المدينتين ، حتى العام ١٦١٤[2] ، اي ما يناهز على العشرين عاماً . وسنرى ، في كلامنا عن مؤلفاته ، ما انتج قلمه ، خلال هذه السنين في رومية من آثار العلم القيّمة .

الصهيوني والشخصيات الكبيرة في رومية[3]

ان الشهرة العلمية الرسمية ، التي احرز العلامة الصهيوني في رومية ، وصلت به شخصيات علم وسياسة بارزة ، واكتسب ثقة ذويها العالية بما كان يؤدّي اليهم من خدمات علمية جليلة ، عن تمام الكفاءة والاهلية . من تلك الشخصيات

---

(١) Michaud : *Bibliographie universelle*, édition II, T. 15. p. 325 ; N. Jacques Le Long : *Discours sur les éditions des Bibles Polyglottes* p. 200.

وقد اخذنا اكثر معلوماتنا عن هذا الكتاب الاخير .

(٢) الجامع المفصل للعلامة الدبس ٣٨٢ . ودي لاروك في كتابه « *Voyage en Syrie et au Mont-Liban* » ، طبعة باريس سنة ١٧٢٢ ، ٢ : ١٢٤ . والعلامة هوار (Huart) في « تاريخ العرب » *Histoire des Arabes* طبعة باريس عام ١٩١٣ ، مجلد ١ : ٢٩١ . ثم غالاً افرنسياً صديقنا العلامة المنوري اغناطيوس زياده رئيس كنيسة مار مارون ببيروت ، في مجلة « فينيقية » الافرنسية (*Phénicia*) : ٢ (١٩٣٩) ١٦

(٣) ان كل ما يلي في الصفحات التالية عن الصهيوني قد استقيناه من كتاب له لونغ المذكور ، من وجه ١٠٤ فيه وما بعد . وسنشير الى مرجع كل نقطة هامة فيه على ما سيأتي .

الخطيرة كان الكردينال دي بيرون (Perron) ، سفير فرنسة في الفاتيكان. وقد قال الصهيوني في مقدمته على ترجمته اللاتينية لكتاب « نزهة المشتاق في ذكر الامصار والآفاق » للشريف الادريسي : « ان الكردينال دي بيرون قد اقنع مليكه لويس الثالث عشر بكفاءته (الصهيوني) الكبرى لتدريس العربية والسريانية في فرنسة ، حيث لا يقدر احد على ذلك. »[1]

ومن اولئك الاصدقاء العلّامة الايطالي الكبير يرحنا المعمدان ريموندي (Raimondi) الذي عُني سنة ١٥٨٢ بترجمة التوراة وطبعها في عشر لغات : اللاتينية ، واليونانية ، والعبرية ، والكلدانية ، والعربية ، والمصرية ، والحبشية ، والارمنية ، والسريانية ، والفارسية ؛ وقد كان متضلّعاً منها كلها ، وهو الذي احيى مراثها في اوربة ونشر لواءها ، واوجد انجع الوسائل لطبعها على اسهل الطرق واروع المظاهر ، ولا سيما العربية التي كانت تبيد وتضمحل هناك[2].

ومنهم ايضاً المسيو فرانسوا سفاري دي بريف (Savari de Breves) سفير فرنسة في الفاتيكان . وكان عالماً كبيراً متضلّعاً من اللغات الشرقية ولا سيما العربية . وقد ساعده على ايجاد هذه اللغات اقامته في الاستانة سفيراً افرنسياً عالياً ، اكثر من ثمانية عشر عاماً ، حيث تيسّر له ان يقوم برحلة واسعة في الشرق طيلة سنتين (١٦٠٥–١٦٠٧) : فزار حلب ، ولبنان ، والقدس ، والاسكندرية ، حتى افريقية . وصاغ ماجريات رحلته هذه في كتاب نفيس طبعه عام ١٦٢٨ . واطلعه تجواله ذاك على كبير امر من التأخر والجهل عند النصارى ، فشتّت حاتيهم قلبه الرسولي الغيور واثنوى مساعدتهم عند الامكان.

وفيما هو ذاهب من افريقية الى فرنسة ، في نهاية رحلته المعهودة ، بلغه امرٌ من مليكته ، ماري دي ماديسيس ، الجالسة حالئذٍ على عرش فرنسة نيابةً عن ابنها القاصر الملك لويس الثالث عشر ، بالذهاب الى رومية ليكون سفيرها المفوض في الفاتيكان ، خلفاً للكردينال دي بيرون الآنف الذكر . ولما استقام له الامر في رومية ، اتصل بالعلامة الصهيوني وزملائه اعلام الموارنة هناك ،

---

١) كذا . . . عن له لونغ (Le Long) ١١٠

٢) عن له لونغ : ٧٤–٤٨

امثال : يوحنا الحصروني[1] ونصر الله شلق العاقوري[2] ، وابرهيم الحاقلاني[3] .

---

١) هو المطران يوحنا بن قرياقوس من بيت صندوق في حصرون ، ذهب الى روية عام ١٦٠٣ وتلقى علومه في المدرسة المارونية هناك . ورافق الصيوني الى باريس عام ١٦١٠ حيث عاونه في ترجمة الكتب ونشرها مطبوعة . وصنّف وحده مؤلفات اخرى ، منها كتاب في الاسرار . ورجع من باريس الى روية ، عام ١٦٢٢ ، حيث طبع كتاباً في العربية ترجمه اليها عن الايطالية ، عن « شرح القنية المسيحية » تأليف القديس بلرمينوس الكردينال اليسوعي ، ووضع له مقدمة سمّى نفسه فيها « رئيس كهنة انطاكية » (كذا . . . عن له لونغ ٢٠١) . وفي باريس عيّنه لويس ١٣ ترجماناً في قصره ملكياً . ثم عاد الى لبنان ، ورسم كاهناً ، وعلّم الاولاد في بترقاشا . وعام ١٦٢٥ اوفده البطريرك يوحنا مخلوف الاهدني الى روية لتهنئة البابا اوربانوس الثامن بالبابوية ، يرافقه الاب نعري اليسوعي ومعه ايضاً ١٢ تلميذاً للمدرسة المارونية . فاكرم البابا وفادته واثنى على تقواه وعلمه ، في جوابه الى البطريرك ، وارسل معه الى غبطته تاجاً وكتباً وآنية بيعية . واذ عاد الى لبنان رسمه البطريرك المذكور مطراناً صارناً له ، فاتخذ مقره في دير مار جرجس بترقاشا . ولكنه لم يلبث ان توفي بعد تسقيفه باربعة اشهر ودفن في بلدته حصرون . (عن الخوري بطرس غالب المكرزل الشابي في ترجمة البطريرك جرجس عميره ، ٥٦) والجامع المفصل للديس ، ٣٢٣

وكان ليوحنا الحصروني علاقة وثيقة بالامير فخر الدين المعني الثاني العظيم ، ومصداقاً على ذلك ثبت هنا رسالة من سيادته الى الامير المعظم لها علاقة بتنصره ، وهي منقولة عن المجلد ٢٤٧٦ من سجلات مدينة فلورنسة في ايطالية وقد توفق لها حضرة صديقنا المؤرخ الخوري قسطنطين الباشا الراهب المخلصي ، وافضى بها الى المؤرخين عيسى المعلوف والمرحوم الشيخ سليم خطار الدحداح فاثبتا نصها بحروفها في مقالها المتع عن « تنصر الامراء الشهابيين واللمعيين في لبنان » في مجلة المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٥٤٢-٥٥٢) . اما الرسالة فهي في وجه ٥٤٦ وهذا نصها :

« سلام الله العلي القدوس محي الاجساد والنفوس وسيدها الى قرائتها باحسن الملموس نخص به حضرة سيدنا واميرنا وفرح قلوبنا وسرور طائفتنا المارونية الجليل القدير الامير فخر الدين المكرم

« والذي يعرضه على شريف علمكم عبدكم المعروف بخدمتكم المطران يوحنا الحصروني (من بيت صندوق) كاتب هذه العبودية هو ان قريب جاييكم بمكاتيب كاخيتكم مصطفى بن حسن شلبي مع اخبار عدة وانشاء الله تكونوا منصورين على اعدائكم والعاقبة للخير بحرمة يسوع المولود الالهية سيدنا ومخلصنا وصانع خلاصنا يسوع المسيح وشفاعة والدته العذراء مريم الدائم بتوليتها التي لا صار قبلها ولا بعدها آية تناسبها باعمال الله الواحد . هذا الذي نسأله متضرعين الى مراحم الجزيلة باهل ويصيركم اميراً مسيحياً يطاعة البابا مؤيداً بالعز والنصر الالهي بالمذهب المسيحي الذي هو وحده مذهب الحق والنجاة المتزلة من السماء بواسطة الكلمة

وذلك الاتصال ترنحت له جوانح السفير دي بريف طرباً ، اذ ولد في قلبه الرسولي الغيور اليقين بوصوله الى الفرصة المؤاتية لتنفيذ عزمه على مساعدة نصارى الشرق . وأولى برادره في ذلك انه عهد الى العلامة الصهيوني ، ووطنيه العاتوري شلق ، بترجمة كتابين : واحد عن الايطالية الى العربية هو تعليم مسيحي من تأليف القديس بلرمينوس الكردينال اليسوعي ، والآخر عن العربية الى اللاتينية وهو مزامير داود . وتعزيزاً لمشروعه الرسولي الشرقي اصطنع امثلة للحروف العربية والسريانية والفارسية ، وانشأ مطبعة لذلك ، حملها اسم « مطبعة سَتاري » . ومن براكير تلك المطبعة كان الكتابان المذكوران خرجا من تحت ملازمها في ترجمتيهما المذكورتين : التعليم المسيحي سنة ١٦١٣ ، والمزامير

الازلية سيدنا يسوع المسيح لخلاص الراغبين الخلاص بالايمان المذكور . . . » اه

وذلك ما يدلّ على ان المطران المذكور له يد كبرى في نشر امير لبنان الاعظم .

٢) كان كاهناً من مشاهير الموارنة ونوابغ مدرستهم برومية . اقام في اوربة كل حياته . وله تآليف عدة : « مبادئ اللغة العربية » طبعه في رومية عام ١٦٢٧ ، وكتاب « رتب الكنيسة الرومانية » ، وترجم سفر ايوب من السريانية الى اللاتينية . وانشأ لطائفته مدرسة في راوينا اطراه عليها كثيراً البابا اينوشنس العاشر في براءة رسولية للترخيص له بانشاء هذه المدرسة . ووقف عليها ثروته وكانت وفيرة طائلة . وتوفي برومية عام ١٦٣٥ ، مشهوداً بصلاحه وبرّاته . وعاشت مدرسته من بعده الى عام ١٦٦٤ حيث انيت وتقل تلامذتها الى مدرسة رومية (عن العتوري غالب في المحل المذكور ، ٢٢) . وكان نصرالله هذا يوقع اسمه في اوربة هكذا : « Vittorio Scialac » له لرنغ ١٠٧)

٣) من نوابغ الموارنة الذين عظمت شهرتهم في اوربة . درس العلوم في مدرسة رومية المارونية . وحاز رتبة دكتور في الفلسفة واللاهوت ، وظلّ عالماً ، فتزوج ورزق بنين . وعند ما اختلف الاب لجاي والصهيوني على مشروع بوليكلوت باريس في اواخر عام ١٦٤٠ استُدعي الحاقلي الى باريس بدلاً من الصهيوني لانجاز ترجمة وطبع البوليكلوت ، كما نبأتي تفصيله وافياً . وفي اوائل عام ١٦٤٢ عاد الى رومية . ثم رجع الى باريس في اواخر العام ١٦٤٥ ، ومكث فيها الى عام ١٦٥٤ مدرساً في جامعة باريس ، ومترجماً ، ومؤلفاً الكثير من التصانيف النيسة . ثم عاد الى رومة يواصل جلائل اعماله العلمية ناشراً الترجمات والتآليف مما يضيق هذا المقام عن سرده . ومن رام توسعاً في الاطلاع على ذلك فليطالع ما كتبه عنه باستفاضة نقيد العلم المرحوم العتوري بطرس غالب في مجلة المشرق [٢٨ (١٩٣٠) ١٨٦ وما يليه .] ثم له لرنغ في كتابه المذكور ، ٢٠٢-٢٠٣ . وتوفي في رومية ١٥ تموز سنة ١٦٦٤ .

عام ١٦١٤ ، حاملين اسم المطبعة وصاحبها ، تعميماً لفائدتها في ابناء المسيح شرقاً وغرباً[1].

الصهيوني في باريس

كان السفير دي بريف على علاقة حبية وثيقة بالفرنسي العلّامة النبيل الشهير جاك اوغست دي تو (de Thou) ، رئيس محكمة باريس العليا[2] . وكان يراسله من رومية بتواتر ، مطلعاً اياه على كل فكرة له او عمل . وفي اواخر العام ١٦١٣ ، غضبت الملكة ماري دي مادیسیس المعهودة على الكولونل اورنانو (Ornano) مهذّب ابنها الامير گاستون (Gaston) ، لمخالفته احد اوامرها ، فاقالته من منصبه ، وطيّرت امرها الى رومية تستدعي سفيرها دي بريف الى باريس ليتولى تثقيف ولدها المذكور . واذ ذاك درى بالامر الرئيس دي تو ، فكتب الى صديقه دي بريف يشير عليه ، قبل مغادرة المدينة الابدية ، ان يحصل على قدر ما يمكنه من مخطوطات واصول شرقية ، ويصطحب معه علماء اكفاء الى باريس تنفيذاً لما ينوي اتمامه من مشاريع علمية لافادة الشعب . فاصاب الرأي وترًا حساساً من المسيو دي بريف ، وراح يعد الاهبة لتحقيقه .

وقد مرَّ بنا ان الكردينال دي پيرون كان قد زيَّن للملك جدارة الصهيوني العلمية ومقدرته على تدريس العربية والسريانية في كلية باريس ، واقنعه بوجوب استدعاء ذلك العالم الماروني من رومية لاملاء المركز الشاغر ، منذ العام ١٦١٢ ، مركز العلّامة اسطفان هوبير (Hubert) الذي اوفده الملك حينئذٍ الى مراكش لاشتغال منصب افرنسي فيها . فارسل جلالته امرًا الى السفير دي بريف يوجب عليه ، قبل ان يبرح رومية ، ان يتوسل بالاحتجاج اللازم لدى البابا بولس الخامس

---

١) له لونغ ، ١٠٤-١٠٧ .

٢) ومن الشخصيات المقرّبة الى لويس ١٣ . وكان مؤرخاً خطيرًا ، واكبر سنوان وضعير لاهل العلم والادب في عصره . ولد في باريس سنة ١٥٥٣ ، واشتهر بقصائده الشعرية في اللاتينية ، وبؤلفه النفيس « تاريخ زماني » (Histoire de mon temps) . ومات عام ١٦١٨ .

(١٦٠٦–١٦٢١) ليأذن للعلامة الصهيوني في السفر الى باريس للغرض المتقدم . فقام السفير باسم مليكه المطلوب ، واستحصل من قداسة البابا المذكور رخصة للصهيوني ، ولرفيقٍ معه ، هو يوحنا الحصروني الآنف الذكر ، بزيارته الى باريس والتقيد بخدمة لويس الثالث عشر .

وهكذا اضطرت الصهيوني مواهبه وكفاءته وشهرته الى النزول عند رغبات اصدقائه الافذاذ المشاهير : دي پيرون ، ودي تو ، ودي بريف المذكورين ، في السفر الى باريس استفادةً من علمه وجهاده . وما اشرف العام ١٦١٤ على ايامه الاخيرة حتى غادر علامتنا رومية لاستيطان باريس ، بعد ان قضى في المدينة الابدية احدى وثلاثين سنة (١٥٨٣–١٦١٤). ووصل باريس صحبة صديقه دي بريف ووطنيه المهود . فاستقبلهم العلامة دي تو والكردينال دي پيرون بكثير من الفرح والترحاب ، ووفّرا الصهيوني ورفيقه على السكنى والمعاش بما امكن .

وبعد مقابلة جلالة الملك ووالدته ، تعين الصهيوني استاذًا ملكياً (Profes-seur Royal) للسريانية والعربية في جامعة السوربون الملكية في باريس ، خلفاً للعلامة هوبير المذكور . وضمانة لمعاش الصهيوني وراحته مع رفيقه الحصروني ، وتسهيلاً للنفع والجدوى في مهمتهما ، حمل المسيو دي بريف ، بوساطته ، الملك ووالدته على تعيين معاش رسمي لصديقيه المارونيين قدره ستمائة ليرة[1] لكل منهما في السنة . وذلك بموجب براءة هذه ترجمتها الحرفية :

« في هذا اليوم ٢٦ ك ٢ عام ١٦١٥ ، اطلع الملك في باريس اطلاعاً كافياً على مقدرة وكفاءة وعبقرية جبرائيل الصهيوني ، ويوحنا الحصروني من جبل لبنان ، في اللغات العربية والتركية والسريانية ، ووقف على خدماتهما السابقة (٢ في جنب الملك المتوفى (والده هنري الرابع (١٥٨٩–١٦١٠) بواسطة المسيو دي بريف ، سفير جلالته قبلاً في البلاط البابوي ، وذلك في ظروف عديدة . ولتمكينهما من مواصلة ذلك في المستقبل ، وتأمين معاشهما منحهما جلالته ، بموافقة جلالة والدته الماكة باسمه ، منحةً سنوية قدرها اثنا عشر

---

١) تحولت ليرة ذلك العهد الى الفرنك الذهبي اليوم في فرنسة .

٢) دليل ان هذين العالمين المارونيين كانا على علاقة واتصال ببرش فرنسة من قبل ذلك العهد . وحبذا لو حفظ لنا التاريخ تفصيل تلك الخدمات والعلاقات .

مئة ليره عملة قديمة . اي لكل منها ستمائة ليرة . و يريد ويأمر متولي الخزينة حاضراً ومستقبلاً ان يدفع لها المبلغ المرقوم ، ابتداء من اول ك ٢ الجاري ، ليتوفرا بذلك على الاقامة والعمل بموجب هذه البراءة الحاملة توقيع جلالته بيده ، وتوقيعي انا مستشاره وامين اسراره في احكامه ومراسيمه . الامضاء :

وفي الاسفل : دي لومني (de Lomenie) . لويس » . ٢١

الصهيوني وپوليكلوت باريس

فكرة البوليكلوت وتطوراتها

اجل ان المساعي الحثيثة التي بذلت ، لنقل الصهيوني من رومية الى باريس ، قد كونتها فكرتان خطيرتان : الاولى تدريس العربية والسريانية في كلية باريس الملكية ، على ما تقدم بيانه . والثانية ، وهي الاخطر والاهم ، مشروع ترجمة الكتاب المقدس الى عدة لغات ، ونشره مطبوعاً فيها ، وهو ما يسمّى «پوليكلوت» (Bible Polyglotte) اي الكتاب المقدس في عدة لغات) . وقبل ان نخوض في التفصيل عن مشروع «پوليكلوت باريس» هذا ، واعمال نابغتنا الصهيوني فيه ، وقد كانت لذلك المشروع نقطة الدائرة والمحور الجوهري الفعال ، كما سيجيء ، رأينا ان نعرّفه الى ابناء الضاد ، فيدركون ان لبنان ما انقطعت قط سلسلة رسالته في خدمة الدين والعلم على اوجههما الصحيحة ، في الشرق والغرب ، في القديم كما في القرون الحديثة ، فنقول :

لم تكن فرنسة سباقة مبتكرة في مشروعها « پوليكلوت باريس » ، وقد سبقتها ممالك عديدة الى نشر الكتاب المقدس مطبوعاً في عدة لغات . فان اسبانية قد طبعت البوليكلوت مرتين ، الاولى (١٥١٤-١٥١٧) في اليونانية ، والعبرية ، والكلدانية ، واللاتينية ، على نفقة وادارة الكردينال كزيمينس (Ximenès) وزير اسبانية الاكبر ، الذي شغل في ذلك عالم جامعة الكالا (Alcala) ؛ والثانية (١٥٦٨-١٥٧٢) على نفقة واهتمام الملك فيليب الثاني ، ويسميها التاريخ « پوليكلوت انتيرس » ولغاتها العبرية ، والسريانية ، والكلدانية ، واليونانية ، واللاتينية .

(٢١ نصها الافرنسي مثبت في له لونغ ، ٢٦٥ ، وما بعد

وفي ايطالية طبعت البوليكلوت مرتين ايضاً : الاولى (١٥١٤ —١٥١٧) ولغاتها اليونانية ، والكلدانية ، والعربية ، واللاتينية . والطبعة الثانية احدثها العلّامة ريوندي الآنف الذكر ، في لغات عشر مرّ بنا بيانها . ثم في البندقية عام ١٥١٨ .

وطبعت المانية البوليكلوت ثلاث مرات : اولاً عام ١٥٨٦ في العبرية ، واليونانية ، واللاتينية ، ثانياً عام ١٥٩٦ في اليونانية ، واللاتينية ، والالمانية ، ثالثاً عام ١٥٩٩ في ١٢ لغة هي السريانية ، واليونانية ، والعبرية ، والايطالية ، والاسبانية ، والافرنسية ، واللاتينية ، والالمانية ، والبوهيمية ، والانكليزية ، والدانيمركية ، والپولونية .

وطبعات غير هذه يزيد عديدها على السبع عشرة طبعة ضاق مقامنا هذا عن تعدادها . وقد فصّلها الاب العالم له لونغ في كتابه المذكور ، ص ١-٢٧٦

هذه المشاريع العلمية القدسية قد عزَّ على فرنسة ان لا تجاري فيها تلك الممالك او تفوقها ، على ما سيأتي ، وهي حامية الدين والكنيسة في كل العصور ، ولا سيما في عصر علامتنا الصهيوني . لذلك هبّت تمدّ في تاريخها تلك الثغرة الهامة بعناية واهتمام شخصياتها الثلاث : دي پيرون ، ودي پريف ، ودي تو ، المعودين اصحاب الفكرة الاولى في پوليكلوت باريس ، واصدقاء الصهيوني المعجبين بمواهبه والواثقين بمقدرته على تحقيق فكرتهم في مشروعهم العزيز . وسنرى ان علّامتنا هذا عرف كيف يكون عند ثقة واعجاب قادريه فحقّق « مشروع فرنسة » على رغم ما تصدّى له من عراقيل ومصاعب واضطهادات ومناوءات وبلايا ومحن من الله والناس ، تنلب عليها وانى العمل يستهوي به انظار اوربة في ذلك العهد ، وجعل العلماء يفضلونه على كل ما سبق من امثاله ، حتى على كل من پوليكلوت الكردينال كزيمنيس وانتيرس المعودتين ، ويستصغرون ، حيال طبعه الفني المتقن وورقه الجميل الصقيل ، مجهودات ونفقات وزير اسبانية الاكبر ومليكها العظيم . وذلك حقّ لفرنسة الفخار به على وجه الدهر ، كما سيتبين بالتفصيل .

اما فكرة البوليكلوت الباريسية الصهيونية المارونية ، وطلائع العمل على تحقيقها فقد تكوّنت منذ العام ١٦٠٦ ، حين اولى عظماء الفرنسيس ، الاعلام

الثلاثة ، تقدم وطنينا الصهيوني يعليه وكفاءته . فجرت عام ١٦٠٦ المذكور مباحثات عديدة طويلة في ذلك الشأن للكردينال دي پيرون ، سفير فرنسة في الفاتيكان حائذ ، مع العلامة الايطالي الكبير يوحنا المعمدان ريموندي الآنف الذكر . وكان ذلك الكردينال السفير قد اوشك ان يبدأ في المشروع ، لولا ان شُغل عنه بنادرة منصبه نهائياً في اواخر العام ١٦٠٧ ؛ وخلفه فيه المسيو سفاري دي بريف ، كما سبق ذكره .

وما تولى دي بريف منصبه الجديد في رومية حتى اقبل عليه العلّامة ريموندي يفاتحه بما كان قد حادث به سلفه الكردينال دي پيرون . فاصابت تلك المفاتحة موقع الشعور والاقتناع من السفير دي بريف . ثم جاءته نصائح ومشورات صديقه العلّامة الرئيس دي تو فزادته يقيناً وثباتاً وغيرة ولما سافر الى باريس عام ١٦١٤ ، مصحوباً بالصهيوني ورفيقه الحصروني ، اخذ معه ايضاً مطبعته وكثيراً من المخطوطات الشرقية ، من نسخ الكتاب المقدس وغيره . ويقول وطنينا الصهيوني ان تلك المخطوطات إنعم بها على دي بريف البابا پولس الخامس المذكور[1] .

اما مترجمنا الصهيوني ، فبعد ان استتب امره في باريس ، واعتنق مهنته التدريسية في جامعتها الملكية ، استهلّ عمله اولاً بكتاب اصول نحوية عربية (غرامطيق) نشره مطبوعاً بمشاركة رفيقه الحصروني . ولتعريف ذلك الكتاب الى الاوساط الباريسية ، رفعا تقدمة شكر واخلاص الى صديقيهما الكبيرين الكردينال دي پيرون والرئيس جاك دي تو قائلين ، في مقدمته المؤرخة في ٧ ك٢ عام ١٦١٦ ، انهما قدما باكورة جهادهما في باريس الى « الرجلين الكبيرين » اقراراً بجهوداتهما الجبيدة لطبع التوراة في عدة لغات . وراح الصهيوني ، والى جنبه رفيقه الحصروني ، يواصل الترجمة والتحبير والدروس والمقابلات ، في غمار من اطايب المخطوطات كتباً واوراقاً . وذلك ما جعل المسيو جاك دي تو يتهلل طرباً لاعتقاده انه بلغ النجاح المبين في فكرته العزيزة . فاقبل على صديق له كان مدير المكتبة الامبراطورية الافرنسية ، يبشره بالامر في رسالة تاريخها ٣ ايار عام ١٦١٥ قال فيها : « ... ان الهم مبذولة اليوم لطبع التوراة في

١) له لونغ ١٠٦٠ .

عدة لغات . . وان الكردينال دي بيرون هو الداعي لذلك وقد انتدبني انا لهذا المشروع . . . »[1]

الايام تناوئ الصهيوني في مشروعه

بيد ان الايام ما عتمت ان خلقت للصهيوني ما اضطره الى تطوير خطته وتغيير سيره في العمل ، وذلك انه فجع بموت حليفه النيور ، السيد جاك دي تو في ٧ ايار سنة ١٦١٧ . فكان ذلك كالصاعقة على علاقتنا شلّت يده في العمل . ثم رأى ايضاً ان الترجمة من السريانية الى اللاتينية تتعذر عليه ، لعدم توفقه لنسخة للكتاب سريانية يركن الى صدق نقلها . وقد كان سعى في رومية مع صديقه دي بريف المعهود ليحصل من ذلك على نسخة سريانية هي عند كل ثقته وارتياحه ، كانت محفوظة اذ ذاك في المكتبة الفاتيكانية ، وقد خطّها المطران سركيس الرزي مطران دمشق[2] ، وحملها بنفسه الى رومية عام ١٦٠٦ ، وقدمها الى البابا بولس الخامس تهنئةً له بجلوسه جديدًا على العرش البطرسي ، وذلك نيابةً عن اخيه البطريرك يوسف الرزي (١٥٩٧-١٦٠٨) ؛ وقد قدم معها الى قداسته عدة تقادم اخر . فضنَّ البابا بتلك النسخة السريانية لشدة صدقها ، وعدم نظيرها ، وابى ان يسلمها الى دي بريف او صديقه الصهيوني ، بل اذدخرها اثرًا نفيساً عزيزًا للمكتبة الفاتيكانية ، ومنع اياً كان عن الحصول عليها .

ويقول الاب له لونغ : « ان مطران دمشق المرحوم قد نسخ هذا الكتاب المقدس ست مرات بالسريانية ثم اشترى نسخته هذه الفاتيكانية الاب موران بثمن ١٦ ريالًا افرنسياً ونال بشرائها شرفاً عظيماً . وهذا الثمن رخيص جدًا

١) له لونغ ، ١٠٥

٢) هو اخو البطريرك يوسف الرزي . وابوهما موسى اخو البطريركين خايل وسركيس الرزيين (١٥٦٧-١٥٩٧) . ومن رهبان دير قزحيا ورئيس نحبسته ، ومن تلاميذ رومية . رسمه اخوه المذكور مطرانًا على دمشق عام ١٦٠٠ ، واوفده الى رومية عام ١٦٠٦ ، لتقدمة الطاعة باسمه وتهنئة بولس الخامس بالعرش الرسولي . فاشتغل هناك بالمناظرة على طبع الكتب الطقسية المارونية مثل : كتاب القداس ، وخدمته ، والشحيم ، وغيرها . . . وترجم التوراة العربية الى اللاتينية وطبعها جميعاً في ثلاثة مجلدات . ووقف مخلفاته على اسعاف طالبيه وتوفي في رومية عام ١٦٣٨ (المشرق عام ١٩٢٢ ، ٢٢٥ . والاب غالب في كتابه المذكور ، ٦٥) .

نسبةً الى قيمة النسخة الثمينة من كل وجه».[1]

عند ذلك رأى الصهيوني ان يقتصر في عمله على ترجمة الكتاب من العربية فقط الى اللاتينية وبطبعه فيهما معاً. وفي تلك السنة عينها قام احد علماء فرنسة، المير ملكيور مادير (Melchior Madere) استاذ العربية ايضاً في باريس، ولفظ محاضرة ممتعة عن روعة اللغة العربية وعظمة فوائدها، امام حشد حافل، واستشهد على صدق خطابه بعمل الصهيوني ورفيقه الحصروني قال: «... وان العالمين المارونيين جبرائيل الصهيوني ويوحنا الحصروني من جبل لبنان، آخذان اليوم باخراج التوراة من العربي الى اللاتيني، وعما قريب سيطبعانها يهذبين اللسانين...».[2]

وفي تلك السنة نفسها ايضاً (١٦١٧) بدا للصهيوني، تدقيقاً في العمل الخطير، ان يعود الى رومية لاجراء بعض التصحيحات والمقابلات في ما لديه من وثائق واصول خطية. فقصد ام المدائن لاحقاً برئيس اساقفة اوش الافرنسية. وحالما فرغ من مهمته هذه عاد الى باريس يواصل العمل.[3]

وعام ١٦١٨، حين تبين الملك لويس ١٣ باكثر جلاء مجهودات الصهيوني الجبيدة في التدريس والتأليف والترجمة، انعم عليه بمحل سكن، وبمرتب اضافي سنوي، قدره الفا ليرة ايضاً. وقد اقرّ ذلك وحققه في براءة ملكية هذه ترجمة نصها الحرفية:

«في هذا النهار ١٧ كانون الثاني عام ١٦١٨ اراد الملك في باريس، عملاً للخير العام، ان يستفيد من خدمة جبرائيل الصهيوني من جبل لبنان، نظراً لكفاءته وعلمه، ولاسيما لمعرفته الوسيعة وتضلعه الكبير من اللغات العربية والتركية والسريانية؛ وتوفيراً له على الاعاشة بقوة المرسوم الذي بيده منذ تاريخ ٢٦ ك ٢ سنة ١٦١٥، وقد منحه فيه سابقاً ليرة معاشاً سنوياً يتقاضاه من يد خازنه الاقتصادي؛ وفوق ذلك بأمر امناء البلاط وقيّميه ومدراء قصوره وبناياته ان يمكنوا العالم المذكور من السكنى في دار ما او في غير موطن من المدرسة الجامعة في مدينتنا باريس. ويكون ذلك خاصاً به وموافقاً له حيث يستطيع ان يطبع ترجماته الآخذ بها من اللغات المذكورة الى اللاتينية. ثم يريد صاحب الجلالة ان ينفذ الصهيوني

---

١) له لونغ، ٤٧٣

٢) له لونغ: ١١١ و ١١٢

٣) له لونغ، ١١٢

المذكور بهذه البراءة من المصاعب التي اعترضته حتى الآن من حيث سكناه ، ليكون في راحة من دفع الاجور الى اصحاب المساكن ، وقاصاً له من كل ما يشغله ويحوّله عن دروسه واعماله ، او يقلقه ويلبكه به اصحاب المساكن ، كما كان حتى الآن . ويمكّنه ايضاً من الحياة ليوفره على خدمة الشعب وافادته . وعليه فان جلالته قد منح الصهيوني هذا عن تمام الارتياح والسخاء ، مبلغ الفي ليرة مماشاً سنوياً ، بما في ذلك السبعمائة ليرة المشروحة له في المرسوم الاول المعهود ، بدلاً لاجور منيشته وسكناه . ثم يريد جلالته ويأمر مدير الخزينة الملكية حاضراً وآتياً ان يدفع الى جبرائيل المذكور قسطاً من ذلك كل ثلاثة اشهر ، ابتداء من اليوم الاول من الشهر الجاري (ك ٢) . ولهذه الغاية ينام ويخدم على حساب هذه المماشات ، وبقوة هذا المرسوم العالي الموقع بيد جلالته وبيدي انا مستشار الدولة وامين اسرار الملك واوامره .

الامضاء

وفي الاسفل : دي لومني لويس ١٥ . (١)

وفي سجلات الكرسي البطريركي اثر خطي للملك لويس الثالث عشر يتعلق بالصهيوني والحصروني . وهو عبارة عن ترجمة عربية لمرسوم اصدره الملك المذكور في نفس التاريخ الذي يحمله المرسوم السابق . وقد ترجم نص هذا الاثر العربي الى الافرنسي اسير رستلهوبر ، قنصل فرنسة في بيروت سابقاً ، واثبت ذلك في كتابه الافرنسي « تقاليد فرنسة في لبنان Traditions françaises au Liban » وجه ٣٢٦ . وهذه ترجمة ذلك حرفياً عن رستلهوبر :

« ان ملك مدينة باريس لاجل خير شعب اراد في ١٧ ك ٢ سنة ١٦١٨ ان يأخذ على نفقته رجلين من جبل لبنان ؛ الاول هو جبرائيل الصهيوني ، والثاني مرهج الحصروني ، العالمان باللغات العربية والتركية والسريانية . وقد عين لهما راتباً مالياً من خزينة الملكية قدره مائتا قرش (كذا . . .) لكل منهما . وكلاهما يسكنان في المدرسة الملكية او في اي محل آخر يختياره تسهيلاً لاعمالهما حيث يشتغلان بترجمة الكتب من لغاتهما الى اللاتينية وبطباعتها . واجرتهما ومعاشهما يكونان على حساب الملك . وجلالته يعطيهما فوق ذلك ستمائة وستة قروش وثلثين . . . ومنحهما هذه الزيادة عوناً على معيشتهما ونفقاتهما الصغيرة . وقد امر الملك ايضاً بان يؤدّى اليهما ذلك المعاش كل ثلاثة شهور مرة . ولاجل ذلك وقّع على هذا المرسوم . . . »

الا ان الله سبحانه وتعالى شاء ان ينغّص على علامتنا الصهيوني لذة ذلك العطف الملكي والايد السامي ، فامتحنه ثانية برفاة مؤيده ونصيره الكبير الكردينال دي بيرّون في ٩ ايلول سنة ١٦١٨ . فكان ذلك مصيبة عليه جديدة تظير محنته برفاة العلّامة دي تو . ثم ناوبته الدهر بمحنة اخرى هي اختلافه مع

(١) له لونغ ، ص ٢٦٦ وما يليه .

المسيو دي بريف. وذلك ان ما عرض للمترجم من صعوبات ورواج ومجيء بين باريس ورومة ، اضطره الى هدر كثير من الايام على غير جدوى فنال ذلك من صبر دي بريف. ووأد فيه نفوراً قوياً من الصهيوني ادّى به ، عام ١٦١٩ ، الى اهمال المشروع والعدول عنه نهائياً. وقد ساعد ايضاً على ذلك موت دي تو ودي بيرون نصيري المشروع وحاميه.

اما الصهيوني ، ورفيقه الحصروني ، فلم يفتّ ذلك الموقف في عزمها وهمتها ، بل لجأا الى مجمع الاكليروس الفرنسي ، وقد كان منعقداً اذ ذاك في مدينة بلوى (Blois) ، ورفعا اليه امرهما في عريضة ضمنت ما ترجمته بالحرف قالا :

« ان المسيو دي بريف جاء بنا من رومية الى باريس لنترجم التوراة من العربي فقمنا بالعمل وصرنا على وشك الفراغ منه. ونحن لا ننبي لنا ذلك غير ضالة تبنا من ان يذهب عبثاً وغير مثمر. بل نطلب ان يطبع الكتاب لافادة الشعب وخير الكنيسة ومجدها. ولذلك جئنا نسأل مجمعكم الموقر العون والمساعدة على اخراج ترجمتنا الى النشر والطبع. »

فراق ذلك المجمع سؤال العالمين المارونيين ، وقرر لهما اعتماداً مالياً قدره ثمانية آلاف ليرة (٤٠٠ ليرة ذهب اليوم) للانفاق على مشروعهما. ودوّن المجمع ذلك التدبير في محضر جلساته الرسمية المثبت برمته في الصفحات : ٣٦٣–٣٦٦ من كتاب له لونغ الذي بين يدينا.

على ان تلك المنحة قد قيدها المجمع بشرط ، هو ان يكون طبع الكتاب تحت اشراف وادارة لجنة من اعضائه. وعيّن ان يؤخذ ذلك الاعتماد من ارباح كتب الاحان ، وبعض كتب من تآليف القديس يوحنا فم الذهب التي طبعها المجمع على نفقته بادارة عالم يسوعي اسمه الاب فرنتون دي درك. وهذه هي الترجمة الحرفية لنصّ ما رسمه وقرره ذلك المجمع المذكور :

« ان السيد جان مدبر المؤتمر قد تقدم الينا بعريضة الابوين المارونيين التي عرضا فيها ان المسيو دي بريف قد استحضرهما من مدرستها برومية الى باريس ليترجما الكتاب المقدس من اللغة العربية الى اللاتينية. وبما انهما انجزا هذا العمل فلا يطلبان مكافأة سوى ان تنبها لا يذهب عبثاً ولا يبقى عقيماً ، بل ان ينشر مطبوعاً لفائدة الناس ولخير ومجد الكنيسة وامة المسيح قاطبة. وانما يلتمسان من مؤتمرنا الاكليريكي العون الفعال على طبع هذه الترجمة. وان

طبعها هذا هو جد سنرول وصوابي . وللحصول على المال الواجب لهذه الطبعة قرّر مؤتمرنا ان يخصص لذلك خمسة الاف وستمائة ليرة من ريع مطبوعات القديس يوحنا فم الذهب والفين واربعمائة من ريع كتب الالحان . وجملة المبلغ ثمانية الاف ليرة تكون مساعدة من مؤتمرنا على طبع الترجمة التي عنيجا الابوان المارونيان، وذلك باشراف اصحاب السيادة المطارنة : برتران ديشو رئيس اساقفة تور ، وجان دافي دي پيرون رئيس اساقفة سانس وشفيق الكردينال دي پيرون المثلث الرحمات ، وشارل بلماك اسقف نوايون ، وجان كاسوس دي برتكاري اسقف بي ، والسيد دي سان جان مدير المجمع ، الذين عينهم مؤتمرنا وانتدبهم ليديروا ذلك الامر بما يقتضي من عناية ونظر ويتقاضوا حساباً دقيقاً عن كل ما يلامس ذلك من ادارة وتصرف .

اعطي في پاري بفرنسة ، نهار الاثنين اول تموز عام ١٦١٩ » .

وقد كتب الاب فرنتون اليسوعي نفسه رسالة في هذا الصدد ، الى امين المكتبة الامبراطورية الآنف الذكر ، تاريخها ١٥ ك٢ ١٦٢١ قال :

« . . . وان المارونيين اللذين يعلمان العربية في باريس (كذا) بمرتب الف ومائتي ليرة ، قد حصلا من مدة وجيزة على منحة مالية ذات قيمة من المجمع الاكليريكي ليعيدا الكتاب المقدس بالعربية واللاتينية التي ترجماه اليها ، وذلك على نفقة المؤتمر المذكور . . . » .

والامر عينه اكّده ايضاً عالم آخر شهير اسمه توما اربانيوس[1] ، وهو صديق الصهيوني ، ومن مشاهير البروتستان ، كما سيجيء .

الصهيوني كاهن ودكتور

اجمع المؤرخون الذين تضمنت آثارهم بين تضاعيفها ذكريات عدة للصهيوني انه حصل على رتبة دكتور في اللاهوت من جامعة البروپغندة في رومية عام ١٦٢٠ . وانه عقيب ذلك بسنتين ارتسم كاهناً . وكان في هذا الاجماع اغفال لذكر ما اذا كان الصهيوني رجع ثانيةً من باريس الى رومية لاحراز شهادة الدكتورية ام لا . مع ان الاب لوتغ لم يذكر للمترجم عودةً ما من باريس الى رومية الا عام ١٦١٧ ، وذلك لتمحيص الوثائق والمعلومات الخطية ، كما مرّ بنا ذلك منذ قليل . اما نحن فنظن ان المترجم اضطرّ ، ولا ريب ، ان يقصد الى رومية خاصّة لاحراز تلك الشهادة ، فان منحها موقوف دائماً على النجاح في امتحان كتابي ثم شفهي خاص بالدكتورية .

---

١) لوتغ : ١١٣ و١١٤

اما رسامته الكهنوتية فتاريخ حدوثها يصعب تعيينه. ولقد كان على خطإ جميع الذين جزموا انها حدثت بعد صيرورة الصهيوني دكتوراً. فان مؤتمر الاكليروس الفرنسي المعهود، عندما يشرح، في محضر جلساته الآنف الذكر، المؤرخ عام ١٦١٩، عن تخصيصه الغني ليرة لمساعدة الصهيوني ورفيقه، يسميهما من الآباء اذ يقول: «وصلتنا عريضة الابوين المارونيين جبرائيل الصهيوني ويوحنا الحصروني...»[1]. اذن ان رسامة المترجم ورفيقه كاهنين قد وقعت حتماً اما عام ١٦١٩ او قبل ذلك.

الصهيوني وحده في باريس

في العام ١٦٢٢ ترك الاب يوحنا الحصروني باريس نهائياً وعاد الى رومية، ومنها الى لبنان، لمهامّ الكنيسة والطائفة كما تقدم. وظلّ الصهيوني في عاصمة الفرنسيس يعايش شخصياتها الوجيهة ويلامس رجالاتها الافذاذ في قصر لويس الثالث عشر، صامداً في ميدان الجهاد يجابه المصاعب والنوائب ومناورات الخصوم الاقوياء التي افضت به الى السجون، كما سيجيء. وذلك لعمري ما حمل مؤرخي عصره، حتى اعداءه الاقوياء ان يضعوه في المرتبة الاولى بين زملائه. وقد قالت دائرة المعارف الكاثوليكية بالانكليزية طبعة نيويورك، حرف «g»: «... وكان الصهيوني اسمى من الحصروني واشهر... (كذا)».

ويقول الاب له لونغ، في صفحة ١١٥، من كتابه: «ان الصهيوني اناخ عليه الدهر بترسٍ شديد الوطأة الزمه الفراش طريحاً مدة سنتين كاملتين، حتى لم يعد فيه الهزال اي امكان». لكنه ما كاد يستعيد قسماً من الصحة والقوة سنة ١٦٢٥، حتى طلع على العالم بكتاب «مزامير داود» مطبوعاً بالسريانية وترجمتها اللاتينية التي من قلمه. وقد اعتمد في عمله هذا مخطوطات سريانية ثلاث اهداه احداها صديقه السيد جورج مارونيو، مطران نيكوزية او لفكوسية عاصمة قبرص. وكما قال في مقدمته، ان هذا كتاب المزامير، والترجمة اللاتينية التي اخرج اليها كتاب «نزهة المشتاق...» وهو المعروف بجغرافية نوبة للشريف ابي

---

١) له لونغ، ص ٢٦٣ وما اليها.

عبدالله محمد الادريسي ، قد طبعها من ماله الخاص ، شاكياً متذمراً اذ ذاك من الذين تولوا امر الاعتماد المالي الذي منحه المؤتمر الاكليريكي المعهود كما تقدم . وقال ايضاً : انه لو توافرت له الوسائل وسعة الحال ، حاظياً ببعض الحماة والانصار ، اذن لامكنه ان يجعل اللغات العربية والسريانية واليونانية والعبرية تسير سواء منشورة اللواء في جميع انحاء اوربة[1] .

محاولته ترك باريس

وتوالت الازمات على مترجمنا تحرج موقفه في باريس وتشدّ عليه الخناق ، اذ تضاءل عدد تلامذته حتى اصبح مركزه التدريسي شاغراً عام ١٦٢٦ ، امام وجود طلاب يختلفون اليه . فادّى به ذلك الى قطع المعاش التدريسي عنه ، واوقعه في شبه نكبة جعلته من الفاقة والعوز في مساس ، فاخذ يفكر الرجوع الى رومية . وقد اطلع على امره هذا اصدقاؤه القادرين تدره في رومية فبادروا الى اغتنام الفرصة ليرجوه ، ورفعوا عرضاً ضافياً بالتوسلات الى لويس ١٣ على يد الكردينال سپادا (Spada) ، والسفير البابوي في باريس السيد بَنْي (Bagny) يلتمسون ترخيصاً من جلالته للصهيوني صديقهم بالذهاب الى روميه ، حيث تدعو اليه حاجة ماسة ، فيشتغل ثمّ بترجمة التوراة العربية الى اللاتينية والايطالية ، وقد بدأ البابا اوربانوس الثامن (١٦٢٣–١٦٤٤) يعنى بها منذ سنتين.

اما ملك فرنسة فلم يجد مانعاً من النزول عند طلب اولئك العلماء . فاصدر مرسوماً ملكياً تاريخه ١٢ حزيران عام ١٦٢٧ أذن فيه للصهيوني بالشخوص الى رومية لمدة معلومة . وطمعاً بترجيعه الى باريس لاستئناف الافادة من علومه ، اغراه باعادة المعاش الذي حذف حينذاك ، وامر بمنحه اياه مدة غيابه في رومية ، كما لو كان موجوداً في باريس . وهذه ترجمة حرفية لذلك المرسوم الملكي :

« اليوم في ١٢ حزيران عام ١٦٢٧ اصدر الملك مرسوماً في باريس ، بناء على ما عرض له من قبل قداسة البابا بواسطة الكردينال سپادا وسفير قداسته المسيو بَنْي ، انه لاجل تقدم ونجاح الديانة وخير الكنيسة العام انشأ صاحب القداسة جمعية من الكرادلة الاصليين الاولين والشخصيات العالية الكبيرة والدكاترة المتضلعين من اللغات والكتب المقدسة وغيرها ، الذين

---

١) له لونغ ص ١١٥

نظروا مع قداسته ان الشعوب الشرقية والمتمسكة بالايمان ، عن رسوخ وثبات بين الاراتقة والكفرة ، لهي في الحاجة القصوى الى الكتب لتعليمهم الخاص ، كما لحديثهم في محادثاتهم ، لذلك قرّر قداسته طبع طائفة صالحة من اجود وانفع الكتب لتوزيعها على البلدان . ولكن بما ان اهل الحبرة والمرونة ، في ترجمة وطبع امثال هذه الكتب لتلك الجمعية المقدسة ، قد رأوا بعين الاعتبار ان اجدر من يقوم باتيان هذا المشروع واداراته على وجه الكمال والنجرة انما هو الاب جبرائيل الصهيوني الماروني ملةً ، ورليد مدينة امدن في جبل لبنان ، الاستاذ والترجمان الملكي ، ذو المقدرة الوسيعة والاضلع الكامل من اللغات الشرقية . فأبدوا رأيهم هذا الى صاحب القداسة ليتوسل وساطته لدى صاحب الجلالة الملك ليتكرم بالسماح للسيد الصهيوني بالتنقل الى رومية لمدة معينة ، ويعمل في وضع الكتب المذكورة .

ذلك المشروع يعطف عليه جلالته احتراماً وتأييداً لصاحب القداسة وغيرته على خير الكنيسة وتقدمها . ولذلك فانه ليس فقط يسمح ساحاً بل يأمر الصهيوني امرًا صريحاً خصيصاً ان يمضي الى رومية للعمل في مشروع كذا مقدس ، حسبما تؤهله لذلك مواهبه وعبقريته التي انعم الله عليه بها . ولاجل تأزيه وترغيبه في ذلك بالاكثر ، واعتبارًا للخدم العظيمة اللذة والفائدة التي اداها الى جلالته ، يريد انه مدة اقامته في رومية يظل ممدودًا ايضاً كأنه حاضر وساكن وشاغل ، كما هو حالياً في باريس ، بكل سكون وسهولة ، وليتمتع ايضاً باجرته ومعاشه اللذين يلذ جلالته ان يتكرم عليه بها من صندوق توفيراته ، ويمنحه ايضاً عند الاقتضاء اجرة اخرى وزيادات تكون له بصفة كونه مدرّساً . ويبقى خادم الدولة وعلى حسابها يتقاضاها الاجرة بحسبما بيده من وصولات بماش واجرة وزيادات تقاضاها في الماضي بموجب المرسوم والرخصة اللذين منحاه قبلاً وارسلناهما اليه في اليوم الاخير من كانون الاول عام ١٦١٦ ، وفي اليوم العاشر من كانون الثاني سنة ١٦١٧ . وقد امر في صاحب الجلالة ان اوسل الى الصهيوني الرسائل اللازمة مع هذا المرسوم الذي تنازل ووقّعه بيده . ثم اوقع عليه التوقيع الثاني انا امين سرورته واسرار دولته واوامره

وفي الاسفل : فيليبو (Phelypeaux) . الامضاء.

لويس » . (١)

عند هذه التدابير ، قام الصهيوني يلبي طلب اصدقائه رجالات رومية والكثلكة ، وامر جلالة الملك . فسيّر امامه اولاً بعض امتعته وحقائبه الحافلة بوثائق المخطوطات وترجمات تلسه وانشاءاته . بيدَ ان ذلك التدبير وما جرّ وراءه من اهبة الصهيوني للرحيل ، ما كادَ ينتشر خبره في الاوساط الباريسية حتى شعر القوم بالفراغ الذي سيجابهون ، وادركوا ان رواح الصهيوني الى رومية سوف لا

(١) له لوتع ص ٤٥٤ وما بعد .

يعقبه رجعة ، نظراً لما يتمتع به من ثقة علمية . فهبّوا يتلافون ذلك ويبذلوا المساعي الجدية فحملوا مجلس المحاسبة في الحكومة على التصدي لتنفيذ تلك الرخصة الملكية . وما زالوا بالصهيوني يبذلون جهودهم في ارضائه حتى اقنعوه بالبقاء في باريس يستأنف جهاده في التدريس والتحبير .

العود الى فكرة البوليكلوت

وتجدد العزم على تحقيقها وتوسيع مشروعها

بينما كان الصهيوني على تلك الوضعية في باريس ، اتصل في البلاط الملكي باحد المحامين اللامعين ، السيو غي ميشال لجاي (Le Jay)[1] واخذ يزيّن له الفوائد الجلى المادية من طبع البوليكلوت على نفقته ، مستعيناً عليه بترغيبات كثير من زملائه العلماء . وقد قدّر له تلك الارباح باربعمائة الف ليرة[2] فضلاً عن ان المجد الذي عجز عن تحصيله ، من ذلك المشروع ، دي تو ، ودي بيرون ، ودي بويف ، سيخلده التاريخ للسيد ميشال لجاي .

غير ان اشباحاً جمة من تثبيط العزيمة كانت تنتصب في مخيلة المحامي لجاي وتحاول تحويله عن الاصغاء الى حجج الصهيوني وترغيبات زملائه . واهم تلك المثبطات كانت حاجة لجاي الى الوسائل الناجعة للنجاح ، وجسامة النفقات الفائقة التي سيضطر الى بذلها لاصطناع القوالب اللازمة لحروف اللغات الشرقية المزمع ان يطبع الكتاب فيها ، مع ترجمة لاتينية خاصة لكل منها ، ولو كان على مقدرة مالية هي في غاية الاعتبار . ثم عدم توفره على مخطوطات شرقية كافية من نسخ التوراة وعدم معرفته ايضاً بالصهيوني لدرجة توليه الثقة الكاملة باخلاصه في ما

---

١) شخصية فرنسية نافذة وثري وجيه كبير ومحامي البرلمان الفرنسي . ولد عام ١٥٨٨ من عائلة نبيلة . كان قديراً على تحقيق المشاريع الكبرى التي منها مشروع بوليكلوت باريس الحافلة اسمه . ومكافأةً له على ذلك عيّنه الملك عضواً في مجلس شورى الدولة ، ومنحه امتيازات عالية ، ورواتبا ضخماً ، وذلك عام ١٦٤٦ ومات في ١٠ تموز عام ١٦٧٦ . وقد اتفق على البوليكلوت ثلاثمائة الف ليرة (عن له لونغ في نقاط مختلفة) . واللّقبان المطران الدبس والاب لويس شيخو اليسوعي يدّانه كاهناً فيسيانه « الاب او المشوري لجاي » طالع الجامع المفصل ٢٨٣ والمشرق ٣ [١٩٠٠] ٨٣

٢) له لونغ ص ١١٨

يقول ويؤكد ؛ ويريه ايضاً في ما اذا كان هذا العالم الماروني على التضلع اللازم من اللغات الشرقية ليقوم بمشروع هو من الخطورة والصعوبة بمكان . ولكن الصهيوني عرف كيف يوثق باهليته العلمية ذلك الثري الفرنسي الوجيه ، وجعله بعد كل ما تقدم ان يقتنع بوجوب البذل على مشروع البوليكلوت الباريسية . وبذلك احيى تلك الفكرة الخطيرة من جديد ، بعد نومها الطويل العميق ، وقد طالما اختمرت بها تلك الادمغة الوجيهة وخنقتها الظروف ضمن حدود الاختبار .

واقبل المسيو لجاي على اتيان المشروع هازئاً بتلك الصعوبات .

تحقيق مشروع البوليكلوت

ماجرياته . هويته . لغاته . رجاله

اول ما بدأ به لجاي انه انتجر طبّاعاً ماهراً اسمه انطوان ڤيتري (Vitré) وامره باعداد كل ما يلزم لطبع البوليكلوت . فتجند ڤيتري للعمل واصطنع الحروف العربية ، والكلدانية ، واليونانية ، واللاتينية ، عند سبّاك شهير يدعى بي (Bé) قد ورث الفن عن ابيه الذي اعتمده فيليب الثاني ملك اسبانية في ضرب الحروف لبوليكلوت انتفرس التي انفق عليها جلالته كما سبق ذكره اما الحروف السامرية فسبكها الفنّان جاك سانليك (Sanlecques) . واما الحروف العربية والسريانية فقد ضرب معظمها عن امثلة الصهيوني وقوالبه التي صاغها . وقد ضربت عليها قبلئذٍ كميات كبرى من الحروف اشتهرت « بالاحرف الصهيونية ».[1] اما الورق فقد انشئت له فبركة خاصة انتجت منه اجمل صنف عرف الى ذلك العهد واشتهر « بالورق الملكي » (Carta Imperialis)[2].

وفي شهر اذار عام ١٦٢٨ شرع انطوان ڤيتري يخرج البوليكلوت الباريسية مطبوعة حصصاً ومراحل ، حسبما كان الصهيوني وزملاؤه يجهزون له المواد ، وذلك بلغاتها السبع . العبرية ، السامرية ، الكلدانية ، اليونانية ، السريانية ، العربية ، حاوية ايضاً ترجمة لاتينية خاصة لكل من هذه اللغات على انفراد . مما جعل

---

١) له لونغ ، ص ١١٩ و١١٦

٢) له لونغ ١١٦

الكتاب يجيء في عشرة مجلدات ضخمة ، وكلها في حلة مطبعية جد رائعة اتت زينة ذلك الزمان ومنتهى فن الطباعة فيه . وقد اقتضت مدة الطبع سبعة عشر عاماً (١٦٢٨-١٦٤٥) بسبب مشاكل واختلافات عنيفة وقعت بين الصهيوني ولجاي سنفصلها في موطنها القريب .

وقد اطلقت على الكتاب عدة اسماء : « پوليكلوت لجاي » و« پوليكلوت باريس » و« البوليكلوت الكبيرة » و« پوليكلوت ڤيتري » . على ان اشتهارها بالاسمين الاولين عمّ جميع اوساط التاريخ والعلم . وقد جاء في صدرها تعريفاً لاتينياً هذه ترجمته :

« التوراة في العبرية والسامرية و . . . بالنصوص الاصلية الكاملة لكل الكتاب المقدس.
« قسم منها اخذ عن طبعة كومپلوتانس ، وقسم من طبعة انتيرس الاسبانية الملكية ؛ وما تبقّى
« اخذ عن مخطوطات نُشدت نسخها وامكن اقتناها من معظم انحاء العالم . وجاءت في تسعة
« اجزاء موزعة في عشرة مجلدات » .

وفي آخر مقدمتها كلام هذه ترجمته :

« في عهد الملك المظفر لويس الرابع عشر السعيد الذي هو منة من الله ، وفي وصاية والدته
« المالكة باسم حنة النمساوية (Anne d'Autriche) وهي ام الرعايا الافرنسية . ولقد قدمت
« فرنسة لجبل الازلية المؤيد استار ملك الصور النظم والصفحات القدسية مكتوبة بسبع
« لغات . ثم اعطت (فرنسة) ونذرت وكرّست ، بواسطة ميشال لجاي وعلى نفقته ، هذه الاسفار
« لخالق الازلية العظيم » . (١

وكان للصهيوني زملاء اعوان في هذا المشروع ، وهم شخصيات علمية شهيرة ومن اخلص الاصدقاء والمؤيدين له ، كالعلّامة ڤالريان دي فلاڤيني (Flavigni) دكتور من جامعة السوربون ، واستاذ ملكي فيها للغات المقدسة مع الصهيوني . وقد تولّى من البوليكلوت النصين العبراني والكلداني .

والاب موران الذي طبع النص السامري مع ترجمته الى اللاتينية .

ثم جيروم پارانت الذي اعاد النظر في ما كان قد طبعه الصهيوني قبل العام ١٦٣٧ من النصوص السامرية والسريانية والعربية .

والخوري يوحنا الحصروني (المطران بعدئذٍ) الذي شارك الصهيوني في قسم

---

١) له لونغ ١٣٢-١٤٣

من ترجمته السريانية والعربية الى اللاتينية كما سيأتي بيانه.

وابرهيم الحاقلاني الماروني الذي اشتهر في اوربة باسم «اكللنسيس» (Ecchellensis) وقد عني بسفر راعوث في العربية والسريانية، واضاً لها معاً ترجمة لاتينية واحدة. ثم تولى سفر المكابيين الثالث في العربي فقط، معتمداً على النصوص التي كان الصهيوني قد طبعها قبلاً بالسرياني والعربي مع ترجمة لاتينية خاصة لكل منهما على انفراد. ثم ترجم ايضاً اسفار: استير، وطوبيا، ويهوديت من السرياني والعربي الى اللاتيني.

والشانوان غودفروي هيرمان اعتنى خاصة بالنص اليوناني.

ثم جان اوبير، من زملاء الصهيوني في التعليم بكلية باريس من قبل الملك للغة اليونانية، ترجم الى اللاتيني النص اليوناني الذي وضعه القديس كيريلس الاسكندري، وطبع الاصل والترجمة معاً، ناظراً ايضاً في سائر النصوص اليونانية.

وكان ايضاً للمشروع انصار كثر من شخصيات فرنسة الوجيهة واعلامها النبلاء. توأده برعايتهم وحمايتهم وآرائهم ونصائحهم ومساعداتهم وتشجيعاتهم من وجوه شتى. فكانوا للصهيوني وزملائه الايد الاقوى على نشر بوليكلوت باريس الخطيرة جداً في الحقلين العلمي والديني. ومن اولئك الرجالات: المسيو پيار سيغيه (Seguier) مدير الدوائر في حكومة فرنسة. والمطران ابليونور ديتامب، دوق ريمس ورئيس اساقفتها معاً. ثم اشيل هرلاي استف مالو. وجاك ليكوت اسقف شارتر. والكردينال دي بيرول، ونيكولا دي بايول رئيس الندوة الافرنسية. وغي دي طاليس رئيس المجلس الفرنسي الاعلى. وغيرهم يضيق بنا مقامنا هذا عن تعدادهم جميعاً[1].

قسط الصهيوني في بوليكلوت لجاي الباريسية

رأينا معرض العلماء الذين ساهموا في بوليكلوت باريس الكبرى، وتبينا حصة كل منهم في ذلك المشروع فعلياً وادبياً. اما علامتنا الصهيوني فكان له

(١) له لونغ ١٢٠ و١٢١

القسط الاوفر ، واليد الطولى ، والتفوّق الاكبر فعليًا وادبيًا على انداده وزملائه العظماء في ذلك العمل ، مما نصبه دوماً في التاريخ نقطة الدائرة والمحور الاهمّ الذي دار حوله المؤرخون في كلامهم عن پوليكلوت باريس. وحصة قلمه وجهاده في هذه البوليكلوت تكوّن خمسة مجلدات ضخمة تنطوي جميعها على ثلاثة الاف ومائة وثلاث وثمانين صفحة .

وهذه المجلدات يحوي اولها تسعمائة وسبع صفحات ، موضوعها الاسفار الموسوية الخمسة ، وقد عاونه الحصروني في وضع ترجمة لاتينية لكل من نصيه السرياني والعربي. وهذا كل ما كان للحصروني من يد في البوليكلوت الباريسية .

والمجلد الثاني يتضمن اسفار : عوزيا ، والقضاة ، والملوك الاول والثاني والثالث ، وذلك في خمسمائة وخمسين صفحة .

والمجلد الثالث ذو اربعمائة وجه ، يدور على مزامير داود ، وسفر الحكمة : اما المزامير فقد طبعه على نفقته في باريس عام ١٦١٩ كما تقدم ذكره ؛ واما سفر الحكمة فقد وضع ترجمته باللاتيني في ستة شهور قضاها كلها ضيفاً على المسيو هرتن ، من اعيان فرنسة المشاهير ، وذلك في قصره في غابة مورتفونتان التي هي من اروع حدائق اوربة .

وعلى ذكر ضيافة الصهيوني في ذلك البيت الفرنسي النبيل ، تثبت رسالة بهذا المعنى ، كتبها من باريس في ١٣ ت١ عام ١٦٣٥ ، المسيو كلود سومايز الى جاك غوليوس استاذ اللغات الشرقية في كلية ليدن (Leyde) قال :

« . . . والى الآن لم اتمكن بعد من اعطاء جترافيتك السريانية الى السيد جبرائيل الصهيوني . فانه متغيب عن المدينة وهو الآن نزيل على بيت المسيو هرتن دي سان مارك في مزرعته الريفية في « مورتفونتان » منذ اول عطلة البرلمان . ومعه هناك المسيو كونسايّاه والمسيو لجاي وعائلته . وحالما يرجع من تلك المزرعة اسلمه الكتاب المذكور ، بعد ان آخذ منه تعهدًا كافيا يضمن ارجاع هذه الاعارة » . (١)

واما ادعاء انطوان ڤيتري بان ترجمة هذا السفر هي من قلم الحصروني ، فان هو الا محض كذب ، فان ڤيتري هذا لم تكن له ادنى معرفة او علاقة

(١) له لونغ ٢٧٨ وما بعد .

بالصهيوني وبكل شؤونه الّا في اوائل سنة ١٦٢٨ حيث اضطره الشروع في طبع البوليكلوت الى التعرف بالصهيوني. وفوق ذلك ان الاب الحصروني المذكور قد غادر باريس نهائياً عام ١٦٢٢ ولم يعد اليها قط. اذن لم يدرك ڤيتري الحصروني ولم يتصل به على اي وجه كان ليمكنه ان يحكم في امره كهذا[1].

وقد اكد العلّامة الفرنسي الشهير جوزاف فرنسوا ميشو (Michaud) في مؤلفه الكبير الشهير (Bibliographie universelle ancienne et moderne) مجلد ١٥ صفحة ٣٥٦، ان انطوان ڤيتري كان من الدّ اعداء الصهيوني واشدهم غيرةً على ضرّه، فنبذ كل شهادة لڤيتري على الصهيوني.

والمجلد الرابع يتضمن خمسمائة وخمساً واربعين صفحة، وهو الاناجيل الاربعة أُخذت للبوليكلوت المعهودة عن نسخة للصهيوني كان، وهو في رومية، قد نقّحها واصلح فاسدها في مواطن عديدة، وترجمها الى اللاتيني وطبعها في المدينة الابدية عام ١٥٩١، بعناية ومناصرة العلّامة ڤيوندي الايطالي الآنف الذكر. وقد اكّد ذلك العلّامة بريان والترن (Walton). والاب العلامة له لونغ يتعجب متسائلاً كيف استطاع الصهيوني الفتى عملاً كهذا، وهو لم يكن اذ ذاك قد اتم ربيعه الخامس عشر!![2].

والمجلد الخامس مضمونه سبعمائة واحدى وتسعين صفحة. ومداره على اعمال الرسل ورسائل مار بولس وسفر الجليان. على ان الصهيوني يدّعي، في دفاعه انه طبع من شغله وتعبه ستة مجلدات من بوليكلوت باريس الكبرى. وان كل مجلد ذو سبعمائة صفحة. فيكون مجموع صفحاته التي رقشها قلمه في تلك البوليكلوت اربعة الاف وسبعمائة صفحة. وقد اقرّ علّامتنا على ادعائه الاب جاك له لونغ[3]. واقتضى عمل الصهيوني هذا سبع عشرة سنة (١٦٢٨—١٦٤٥)

اما شغل الصهيوني في هذه المجلدات فكان قوامه وضع ترجمة لاتينية خاصة لكل من النصين السرياني والعربي، واصلاح مسودات طبعها، وتجهيزها جميعها

١) له لونغ ٤٢٨
٢) له لونغ ٧٨ و١٢٢
٣) له لونغ ٤٠٥

بالحركات والنقط الشكلية الاصولية للنصين المذكورين ثم وضع لها ، في جميع مجلداته المعهودة ، حواشي وملاحظات غراماطيقية اصولية هامة . وهو الذي ضبط نصوصها ونسخها الاصليه الصالحة للاعتماد في المشروع القدسي الخطير . واضطرته دقته المعهودة ، في كل اعماله العلمية وغيرها ، ان ينسخ تلك المجلدات وينقلها اربع نسخات . ثم صاغ لها ايضاً بيده هو رسوم الحروف واشكالها وقوالبها وطوابعها المطبعية ، للعربي والسرياني ، مما اكد انه كان ، فوق عبقريته العلمية ، ذا عبقرية صناعية آلاتية . وقد كلّفه كل ذلك اكثر من ثلاثين الف ليرة[1] .

عمل الصهيوني في نظر العلماء

هذه الاعمال كان لها قدرها الكبير عند رجالات العلم والسياسة ، في السلكين الكنسي والعالمي بفرنسة وغيرها ؛ وعدّوها عظيمة جبارة . واول من اكبرها وقرّظها كان موتمر الاكليروس الفرنسي . فانه عندما كان منعقداً مرة اخرى في باريس ، في اواخر عام ١٦٣٥ ، رأى ميشال لجاي ان الفرصة سانحة ليطلع رؤساء دينه في وطنه على اهمية مشروعه ، وجسامة نفقاته عليه . فتقدم من ذلك الموتمر ، بواسطة احد النواب المسيو لويس اوديسينك . فاعاره المجمع الاكليريكي اهتماماً ، وعهد الى ثلاثة مطارنة من اعضائه بفحص المشروع ودرسه ملياً ، مكلفاً اياهم وضع تقرير عنه ، يصير الاجراء بتوجيهه . فقام اولئك المطارنة بالمهمة كما ينبغي ، ورفعوا باللاتينية تقريرهم المطلوب ، مؤرخاً في ٢٤ كانون الثاني سنة ١٦٣٦ ، حافلاً بالاكبار لغيرة لجاي وتسخائه الكبير على المشروع . ثم كالوا القدر الكبير من المديح والتقريظ لجهود الصهيوني فيه . وقد امرت هيئة الموتمر بادراج ذلك التقرير بين مقررات اجتماعاتهم حينذاك . وجاء الاب له لونغ فاثبت نص ذلك في كتابه الذي بيدنا ، من وجه ٣٢٩ وما بعد . اما ما خص الصهيوني من ذلك فهذه ترجمته :

« . . . ان الاسفار الموسوية لم تكن قبل اللّاسة الصهيوني معروفة في اوربة انما صادفة « الترجمة . وكانت الثقة بانها مأخوذة عن اصلها السامري ضعيفة ، لعدم وجودها في الپولكانا

---

١) له لونغ في المحل المذكور . وميشو ١٥ : ٢٢٦

« (ترجمة القديس ايرونيموس للكتاب) . والنص الذي كان يعرفه العلماء لم يكن مشبعاً تماماً
« علياً بُركن اليه . لذلك اخذ الصهيوني على عاتقه ترجمتها عن السرياني والعربي ، المأخوذة
« نصوصها عن المخطوطات القديمة الجد جداً ؛ فترجمها الى اللاتينية بصدق محسوس وبيان
« فصيح . وضبط نصوصها الاصلية من العربية والسريانية مع اشكالها وحركاتها وضوابطها . مما
« اثار اعجاب علماء اللسان اللاتيني واللسانين السرياني والعربي ايضاً » . (١

والعلامة الاب موران ، المعهود بين المشتغلين في البوليكارت الباريسية ، وقد عني بالنص السامري فيها وترجمه الى اللاتينية كما تقدم ، قال في معرض كلامه عن اسفار موسى الخمسة ، في اللاتينية ما ترجمته :

« . . . واليوم عام ١٦٣١ يقوم مسّال لجاي بطبع الكتاب المقدس في السريانية والعربية
« مع ترجمة كليهما الى اللاتينية ، وقد وضعها العالم الكبير الاب جبرائيل الصهيوني دكتور
« في اللاهوت واستاذ من قبل الملك للغات الشرقية في باريس منذ ٤٠ عاماً ، وهو ماروني
« من جبل لبنان قد تلقى علومه اللاهوتية في رومية ، حيث برع في اللغة اللاتينية » . (٢

والاب موران عينه كتب ايضاً رسالة ، في ١٢ كانون الثاني عام ١٦٤٢ ، الى الاباتي رئيس « دير الصليب المقدس » في اورشليم ، مفصلاً له ما عمل العلّامة الحاقلاني في باريس ، وقد اطرأ الصهيوني معه قال :

« . . . والذين يعنون ولو قليلاً بقراءة ما كتب هذان العالمان المارونيان (الصهيوني
والحاقلاني) ، ويتدبرون ما ظهر لهما من مؤلفات مطبوعة ، لا يسعهم الا الاقرار عن تمام
الارتياح بما يتجسم في ذلك من دلائل النبرة والقوة على الجهاد السيف » . (٣

وسيتأكد المطالع الكريم في شروحنا التالية ان الاب موران هذا كان من خصوم الصهيوني ومناهضيه ايضاً . فشهادته اذن ، وهو الخصم ، ثمينة قيمة .

وكذلك السادة العلماء : ليسكر ، ودي موبس ، وفلاتيني ، من الاساتذة الملوكيين في جامعة باريس ، قد فحصوا المجلدات الخمسة التي اشتغلها زميلهم الصهيوني في البوليكلوت المعهودة ، ودرسوها فصلاً فصلاً ، واقاموا لها التمداح والتقريظ الى حدود قصية ، قادرين قدر علامتنا الصهيوني فيها . ووضعوا لدرسهم

---

١) له لونغ ٢٨٢ و٢٨٣
٢) له لونغ ٤٦٧
٣) له لونغ ١٧٥

هذا تقريظاً واسماً ذيّلوه بتوقيعهم ومهروه باختامهم. واليك ما قاله دي فلافيني استاذ العبرية الملوكي :

« مهما مدحنا الصهيوني ، لا نفيه حقه ، من اجل عمل اتاه ، هو في غاية الاهمية والكمال تتجلى فيه الدقة والاتقان ، ولا سيما الامانة المرعية في كل ترجماته ». (١)

ولما جاء العالم الانكليزي المشهور ، المستر بريان والتون السابق الذكر ، ليطبع بوليكلوت انكلترة البروتستانية ، التي تمّ طبعها في لندن ، عام ١٦٥٧ ، في تسع لغات ، استعان باعمال علّامتنا الصهيوني ، في بوليكلوت باريس ، وتأثر بمنهاجه في الدرس والترجمة والتنسيق والتدقيق والمقارنة ، واخذ عنه الشيء الكثير مما قد اعترف له به في مقدمته على بوليكلوت لندن. وهذه ترجمة ما كتبه ثمّ مقرظاً الصهيوني قال:

« وان هذا الرجل العظيم بذل ابتهاجاً شاقة وافضالاً جزيلة كثيرة الفائدة لكل من يرغبون في ان يتضلعوا من اللغات الشرقية والاسفار المقدسة. ومن لم يقر له بالفضل كان غامطاً الاحسان. « ونحن نعترف بان اعماله في بوليكلوت باريس هي من آيات الدنيا واعاجيبها. ونرى انه يلزم الجميع ان يؤدّوه شكراً لا ينقضي ». (٢)

وكذلك كل الذين ترجموا التوراة الى عدة لغات ، استعانوا ببوليكلوت الصهيوني الباريسية واستنارو بمنهاجه ومعارفه[٣].

ثم جاء المسيو كولومياه ، احد اعيان فرنسة العلماء ، وتأثر والتون في اكباره الصهيوني ، قال ، في صفحة ٢٦٣ من كتابه « Gaule Orientale » ما ترجمته :

« ان الصهيوني عالم متضلع من اللغات الشرقية ، ويمكنه الوقوف في صف واحد مع الذين شرّفوا فرنسة بعلومهم وانواع معارفهم ». (٤)

---

١) له لوزنغ ١٨٣ و٤٧٧

٢) له لوزنغ ٣٠٤-٣٠٨ . ثم الطران الدبس في « الجامع المفصل . ص ٣٨٣ . ومجلة « فينيقية المذكورة : ٢ (١٩٣٩) ١١

٣) دي لازوك المطبوع عام ١٧٢٣ ، ٢ : ١٢٤

٤) له لوزنغ ١١٨

اختلاف الصهيوني والمحامي لجاي

اسباب الخلاف

يظن القارئ الكريم ان الصهيوني كان ، في ذلك المشروع العلمي القدسي ، ناعماً براحة الفكر وطمأنينة البال ، موفورة له كلّ اسباب التعزية والهدوء ، مما هو ضروري جداً لكل من يخوض الميدان لامثال مشروع البوليكلوت الباريسية . اما التاريخ الصادق فيقضي على ذلك الظن ، اذ تنكشف لنا طواياه عن خلاف هام حدث بين الصهيوني والمحامي البرلماني ميشال لجاي ، مثلت فيه الغايات ادواراً عصبية استهدف فيها المترجم لكبير امر من التضحية براحته وكرامته وماله وحقوقه وجهاده ، حتى ادّت به المسائل الى غياهب السجن يتكبد مرارته ثلاثة شهور كاملة .

وبين يدينا قدر كبير من المعلومات يتضمن عدة آراء وروايات لاسباب ذلك الخلاف . وكلها ضد الصهيوني تؤيد جانب خصومه ، فتنصبهم ابرياء ذوي حق مشروع ، وتصور المترجم ذلك المجرم الساق الى الاعتداء . وتلك الروايات هي صادرة عن انطوان ثيتري الطباع المعهود ، الذي عرف بعدائه المشهور للصهيوني . ومزاعمه فيما هي ما يلي :

« ان الصهيوني كان بطيئاً جداً في العمل ، وطالما آخذه الكثيرون على
« ذلك . . . وانه كان يشوش ثيتري في اعمال الطبع ويعرقله عن الجري في ذلك .
« ولا يعرف في شغله اي نظام او متابعة وانسجام . . . وقد عُرف قصد هذا
« الماروني ، وهو عرقلة المشروع ليرغم اصحابه على مجاراته في كل ما يريد . . .
« وقد رأى انه الجوهر الفعّال والضروري في ذلك العمل ولا غنى عنه فيه ،
« فاراد ان يستفيد من الحاجة الماسّة اليه ، وراح يظهر قيمة نفسه ومنزلته ،
« ويتباطأ في العمل . فاضطرّ لجاي ان يأنف تماهله ونزقاته الحادة ويملّه العدول
« كلياً عن اتمام طبع البوليكلوت . . . وكان يفضل الراحة ورخاء العيش على كل
« شيء في هذا العالم . . . ولا يقصد من عمله الا تحصيل الشرف والصيت الطنان .
« وطبعه دائماً مستعد للثوران . . . وعندما كانوا يلحفون عليه بالشغل ، كان يجيبهم

« بتعب وتزاقة : انه يطرح التوراة في النار اذا قصدوا اتعابه . . . ». وغير ذلك كثير وكثير تجده مع ما تقدم في مقال عجاني طويل لانطوان ڤيتري ، نشره مطبوعاً عام ١٦٤٠ ، وقد حشاه طعناً وقذفاً ومثالب بالصهيوني ، رداً على دفاع اصدقائه الذي نشروه بالطبع تبريراً لصديقهم المترجم عما الصق به[1] .

ولما جاء الاب له لونغ ليكتب عن تلك الاحداث ، لم يجد في ميدان بحثه وتنقيبه غير روايات ڤيتري هذه . فاخذ بها واعتمدها ، على رغم اعتقاده وتحققه انها روايات عدو ! ! ولكن من يقرأ ما كتب العلامة ميشو الكبير عن هذه الروايات الڤيترية ، اذ قال : « ان روايات ڤيتري هذه انما هي لعدو شديد وخصم عنيد ، فلا يجوز الاخذ بها طليقة من كل نظر او قيد عقلي »[2] ، اجل ان من يتدبر هذا الكلام ، يمكنه ان يحدد لهذه الروايات ، ولكل ما هو من طرازها ، مبلغ القيمة والاعتبار في عين المنطق والانصاف .

والذي يزيدنا تشجيعاً على هذه النظرية ، ان التاريخ لم يحفظ لنا اي اثر ينتصر للصهيوني ويشرح وضعيته في ذلك الاختلاف ، كما هي مشروحة وضعية الخصام ؛ وقد كان له كثير من الانصار ، وقفوا الى جانبه يؤيدونه ويدافعون عنه بما عزَّ وهان ، حتى انقذوه من السجن وردوا عليه ما استطاعوا من حقوقه المهضومة كما سيأتي . فاين دفاعهم المعهود عنه ؟ ولماذا لم يثبت نصه الاب له لونغ كما اثبت مقال ڤيتري ، في كتابه الذي بيدنا ؟ ! ! اما الجواب على هذا التساؤل ، بل هذا الاستغراب ، فهو ان خصوم علاقتنا كانوا اذ ذاك ذوي حول وطول ، وبيدهم الكفة الراجحة من النفوذ والحل والربط ، فتمكنوا من تنفيذ اغراضهم على ما ارادوا ؛ وقضوا على كل اثر ينتصر لمبعوثهم الصهيوني او يدعم حجته عليهم ، وبذلك جعلوا جوَّ التاريخ خالياً لآثارهم وحدهم . ويكفيهم ليصلوا الى كل ذلك ، ان يكون في جانبهم ، ويشد ازرهم ، الكردينال دي ريشليو ، زعيم فرنسة الاكبر ، ومن اعظم رادعي رجالها في التاريخ .

---

١) وقد اثبت له لونغ مقال ڤيتري المذكور ، في ٢٩ صفحة من كتابه الذي بيدنا .

٢) ميشو ١٥ : ٢٢٦

على انـــه مهما يكن من شيء ، فوقوع الخلاف بين المحامي البرلماني ميشال لجاي والعلامة الاب جبرائيل الصهيوني هو امر اكيد. وقد اكد الخصوم ان اسباب ذلك الخلاف ترجع في العمل ، وتمادية في الخمول والكسل. اما نحن فقد تأكد لنا ، مما بيدنا من آثار حول ذلك ، ان لجاي غرّه طمع الربح فانتحى الشحّ والتقتير ، في مكافأة الصهيوني ، الى درجة بليغة ، ولا سيما ان المترجم لم يرتبط مع لجاي ، المحامي الوجيه ، ارتباطاً رسمياً كتابياً في تجنده لعمل البوليكلوت . وان الصهيوني لما اوشك ان ينهي العمل ، قام لجاي يحاول الجري بمسوّلات نفسه ؛ وجابهه المترجم بطلب حقوقه فحجز على المخطوطات ، ممتنعاً ان يسلمها احداً قبل ضمانة حقوقه وتعبه ، فكان الخلاف وكان من نتائجه ما سيرد بيانه وحُكمنا هذا ستؤيده الوقائع التالية ، على ما سنرى.

الصهيوني لا يمكن الاستغناء عنه

تطورات الخلاف

واستحكمت شؤون الخلاف بين الرجلين ، فأدّت باحدهما. لجاي الى نقض اليد من الصهيوني . وعزم على مقاطعته كلياً ، عام ١٦٣٧ ، وراح ينشد رجلاً من انداد الصهيوني علماً واهلية ينجز له ما بقي من البوليكلوت ، وقد اوشك الصهيوني ان ينجزها . فكتب الى رومية يفتش عن ذلك الرجل . وبعد كثير من المساعي اصطدم بالفشل فارغمه واقع الحال على الرجوع الى خصمه صاغراً يطلب اليه استئناف العمل وانجازه ، محاولاً مرضاته بالتي هي احسن .

اما المترجم فكان قد درى بنوايا لجاي ومساعيه ومراسلاته الى رومية ، فاستضعف الثقة فيه واتخذ حياله موقفاً تقتضيه الحال . ولما رجع اليه لجاي يترضيه بالوعود ، خاف ان تكون مواعيده برّاقة نظير الكثير مما سبق له منها . فطلب تأميناً لذلك وضمانة للعمل بصورة شرعية . اما المحامي لجاي فسبب له طلب الصهيوني هذا وموقفه ترددات وتغيرات في الرأي ، وروحات وجيئات ، ليتال المترجمَ من جهة ما ، قبل تحديد الاجرة . اخيراً ارغمته الظروف على تعيين ثلاثين الف ليرة اجرة للمترجم ، مع خمس وعشرين نسخة من كل من مجلدات

البوليكلوت العشرة. وكتب على نفسه صكاً بذلك التعهد رسمياً ، عند كاتب العدل ، تاريخه ٣٠ ت٢ عام ١٦٣٨ . وهذه ترجمته :

« انا الموقع اسمي بذيله اتعهد للسيد جبرائيل الصهيوني مدرس اللغات الشرقية في كلية « السوربون الملكية في باريس ، ان ادفع اليه ، غب مرور سنتين من طبع البوليكلوت الكبرى، « مبلغ ثلاثين الف ليرة وخمساً وعشرين نسخة من الكتاب المذكور الآخذ به الآن . وهذه « القيمة تدفع اليه مع النسخ حالاً بعد انجاز الطبعة . واذا مات جبرائيل هذا او حدث له مانع « شرعي يحول دوناً دون انجاز المشروع ، عندئذٍ ادفع الى من يعينه جبرائيل، بموجب وصية « منه رسمية ، مبلغ عشرة آلاف ليرة فقط وخمس عشرة نسخة من البوليكلوت المعهودة .

حرر في باريس ٣٠ ت٢ عام ١٦٣٨ الامضاء :

لجاي » .(١)

وفي الوقت نفسه اخذ لجاي من الصهيوني صكاً آخر نظير المتقدم ، وامام كاتب العدل نفسه ، يتعهد فيه بما ترجمته :

« بهذا الخط الموقع بيدي ، انا الاب جبرائيل الصهيوني ، اقر ان لا حق لي بعشرة الاف « ليرة وخمس عشرة نسخة من مجلدات البوليكلوت ، حسبما جاء في تعهد المسيو لجاي ، اذا « مر عامان ولم ادفع اليه التوراة العربية والسريانية مترجمة الى اللاتينية ، وفق ما بيدي « من الوثائق الخطية ، واؤمل ايضاً ان لا يرقاني عن ذلك ادنى عائق شرعي .

حرر في باريس ٣٠ ت٢ عام ١٦٣٨ الامضاء :

جبرائيل الصهيوني » .(٢)

ويقول فيتري المعهود : « ان المبلغ المالي في ذلك التعهد كان خمسين الف ليرة ، وان لجاي كان مرغماً على توقيعه ارغاماً ، وان الظروف القاهرة انتزعت منه الرضى بذلك التعهد والتوقيع عليه ، حتى انه كان في نيته وعزمه ان يمنح الصهيوني حينئذٍ اي مبلغ طلب ، ولو بلغ طلبه ثلاثمائة الف ليرة !!! لانه كان موقناً العجز كله عن وجود رجل آخر نظير الصهيوني يستطيع القيام بتلك الترجمات الخطيرة ، ولان الصهيوني كان يؤكد دائماً وانى وجد انه يحرق الكتاب اذا ارادوا ان يتاجروا على نظيره فلا يؤدونه الاجر الواجب عن تعبه !! ».(٣)

---

١) له لونغ : ٢٩٦ وما بعد

٢) له لونغ ، ٤٠٠

٣) له لونغ ، ١٥٦ و١٥٧

اما لجاي فكان مرغماً حقاً على توقيع ذلك التعهد . اذ انه راح ، بُعيد ما جرى ، يستحضر كل ما لديه من حيل وعبقرية في فن المحاماة والفقه ، للتفلت من قيود ذلك التعهد الشرعي . واخيراً وبعد لأيٍ ، فتقت له الحيلة الفقهية مخرجاً من مأزقه الحرج . فاستكتب المحرر العدلي صكاً اخر نقيضاً للصك السابق الذي صار يقدر على الغائه ساعة يشاء . وكان اذ ذاك قد مرّ عام على التعاهد مع الصهيوني . وكان هذا قد انتهى من اتمام العمل حسب التعهد . لكن لجاي ابلغه الصك النقيض بواسطة الكاتب العدلي .

فاستغرب الصهيوني ذلك التدبير ، وقد رآه لا مبرر له ، وهو قد اتم العمل قبل سنة من حلول الاجل المتعاهد عليه . ولذلك ارسل الى لجاي ، في ١٠ ت٢ سنة ١٦٣٩ ، يعلنه انجاز العمل حسب التعاهد الاخير ، وذلك بواسطة ڤيتري وشخصيات كثيرة : كالسادة دي كاسيوف ، ودي لسيناس ، والمطران ليونور ديتامب ، ورئيس اساقفة ريس و . . . اخيراً ذهب اليه بشخصه ، وبحضور كاتب العدل ، ابلغه ان الشغل المفروض انتهى ، وانه مستعد لاتمام الطبع ، على شرط ان يرجع عن الصك النقيض الذي لا مسوغ له .

غير ان لجاي كان قلبه غير نظيف ، وطياته حافلة بالعزم على النوال من الصهيوني باي طريقة كانت . ولذلك لم ينم دقيقة عن السعي للحظوى برجل آخر يقيله من الصهيوني . وكان قد اوصى حليفه الاب موران المعهود ، والح عليه عند سفره الى رومية ، في آب من تلك السنة (١٦٣٩) ، مرافقاً الكردينال بيشي سفير الڤاتيكان في فرنسة ، ان يفتش له في المدينة الابدية عن رجل جدير بالعمل كالصهيوني . وعندما ابلغ المترجم خصمه لجاي انجاز العمل حسب الاتفاق ، كان هذا الاخير قد ورده جواب الاب موران يؤكد له ان في رومية رجلاً من امثال الصهيوني جدارةً ، وهو تحت الطلب ؛ وان هذا الرجل لديه كل الاصول والوثائق اللازمة من المخطوطات الصادقة ؛ وانه بامكانه انهاء كل ما بقي من البوليكلوت في اقل من ستة شهور[1] .

ويقول الطباع ڤيتري ان الصهيوني قد درى بسعي لجاي وبجواب الاب

---

١) له لونغ ١٥٨

موران . ولذلك هرول الى لجاي يعلنه انجاز العمل المفروض وتحضيره للطبع ، واستوسط كثيرًا من الشخصيات لاقناعه بالرجوع عن الصكّ النقيض ، وبوجوب استئناف الطبع[1] .

الصهيوني في السجن

ترشّح المحامي لجاي لجواب الاب موران نصيره وارسل يستحضر ذلك الرجل (وهو ابرهيم الحاقلي كما سيجيء) من رومية . وحين اقترح عليه الصهيوني ان يرجع عن الصك النقيض ، وان يصار الى تكملة الطبع ، قلب له ظهر المجن ونفّذ الصك الاخير المعهود ، ناقضاً تعهده الشرعي له . وعلى الاثر رفع عليه الشكوى الى مجلس الشورى في البلاط ، مدعياً « ان هذا المارون نال من « شرفه وماله وكرامته بمكايد شائنة . وانه خرج على العهود التي اخذها عليه . « وانه يأبى اقام البوليكلوت . . . وانه غير قدير على مشروع كهذا . ! ! ! » .

وصادفت عريضة لجاي قبولًا في ذلك المجلس ، وقد شدت ازره فيها وساطات رئيس اساقفة بوردو ، والمركيز دي سورديس ، ومطران ريمس ، وعلى رأسهم الكردينال دي ريشليو ، الوليّ الاول لكل وجوه الحلّ والربط في فرنسة . فحملوا المجلس المذكور على اصدار رخصة باعتقال الصهيوني . ثم استصدروا من الملك مرسوماً عالياً باجابة شكوى لجاي المحامي البرلماني والحجز على ظنينه الصهيوني . وهكذا في اواخر ك٢ عام ١٦٤٠ كان العلامة الصهيوني سجيناً في حصن غابة فنسين (Vincennes) . ثم اصدر الكردينال دي ريشليو الوزير امره حالًا بضبط كل ما للصهيوني من اوراق ومجلدات وهي الشيء الكثير . وعلى الاثر ايضاً صار تسليمها الى عدوه الالد الطباع فيتري ، الذي كان مهيأً لها جيشاً من الفاخ فنفخوها اذ ذاك بالاسراع ليتم طبعها عندما يأتي من رومة ابرهيم الحاقلاني المنتظر .

---

١) المحل نفسه

خروج الصهيوني من السجن

وموقف لجاي حياله

ولم يكن الصهيوني هملًا ولا رخيصاً في باريس. بل كان وجيهاً بارزًا يعايش المع الشخصيات ويشار اليه بالبنان. وما كاد يشيع نبأ اعتقاله ودخوله السجن حتى ضجت الاوساط هناك، وعب لنجدته وانقاذه اصدقاؤه وقادروه، وهم كثر ومن خاصة باريس البارزة، ولا يستهان بنفوذهم ووجاهتهم: امثال المطران دي شاڤيني، والسادة سيمون دي موبس المعلم الشهير، وڤاليريان دي فلاڤيني، وكلهم من دكاترة السوربون واساتذتها اذ ذاك: فعقدوا الاجتماعات الشورية والمفاوضات الجدية، وانشأوا دفاعاً مجيدًا عن زميلهم السجين نشروه وتتنذ مطبوعاً. وهذا الدفاع قد رجحت نظريتنا الضميمة منذ قليل ان يكون اولئك الخصوم القوية نالت منه فيما بعد، فاوردته التلاشي، طمساً لكل اثر ضد قضيتهم، ومنعت على التاريخ ايصال نسخة منه الى عصرنا.

وما فتئ اولئك العلماء يسعون للافراج عن زميلهم، حتى اقنعوا الكردينال دي ريشليو ان معاملة من هذا الطراز لرجل هكذا عالم وغريب، وضيف فرنسة في بحطة في التاريخ من قدر بلادهم ودولتهم الجبارة، وحماره على النزول عند وساطتهم وبراهينهم، فلم يمر على سجن المترجم ثلاثة شهور، حتى استصدر الكردينال الوزير امرًا ملكياً بالافراج عنه.

اما الاخصام فاذ اعياتهم النجاح في الابقاء على عدوهم سجيناً، ورأوا ان الافراج عنه صار امرًا واقعاً لا من ذلك بدّ، خافوا ان ينصرف لمناوءتهم في تقديم ترجماته الخطية للطبع، مستندًا الى نفوذ انصاره؛ واستصوب خوفهم الكردينال الوزير، فطلب من انصار الصهيوني كفالة وسية في ذلك، قبيل استصدار المرسوم الملكي بالتخلية عنه. وللحال انتصب ستة من اولئك الانصار، وكتبوا على نفوسهم كفالة شرعية عند المحرر العدلي ضمنوا بها الصهيوني لدى الملك. وكتبوه هو ايضاً تعهدًا خطياً وقعه باسمه في الوربية، وهو بعدُ في السجن، وكفله فيه المطران دي شاڤيني وهذه ترجمة حرفية لتعهد الصهيوني قال:

« انا المرقع اسمي في ذيله ، جبرائيل الصهيوني ، مدرس اللغات الشرقية من قبل الملك ،
« اتعهد لصاحب الجلالة بحضور سيادة الطران دي شاتيني وكفالته بان اقوم العهد ، الذي
« كتبت على نفسي بخط يدي للسيو ميشال لجاي بشأن طبع الكتاب المقدس ، وذلك في باريس
« في آخر ت٢ عام ١٦٣٨ . وهذا التعهد الآن يكون تابعاً الكفالة التي تكرّم عليّ بها اصدقائي
« السفة لدى جلالته ، فخار امس . والبيان كتبت على نفسي هذا الخط واعطيته في غابة فنسين
فخار عيد الفصح عام ١٦٤٠

الامضاء بالعربية : « جبرائيل الصهيوني ». (١

وبُعيد ذلك استصدر الكردينال الوزير مرسوماً من الملك باخلاء سبيل الصهيوني موجهاً الكلام فيه الى السيد دي شاتيني ، على سبيل رسالة رسمية . وهذه ترجمة ذلك :

« ايها السيد دي شاتيني . ان السيو جبرائيل الصهيوني المدرس الملكي للغات الشرقية
« يتعهد قابلاً بكل ما اوجب على نفسه للسيو ميشال لجاي محامي البرلمان ، بشأن طبع
« البوليكلوت فاصدرت اليك ايها السيد دي شاتيني هذا المرسوم لاؤكد لك اني استصوب
« بل ارغب واريد ان تخرج العالم المذكور من قصري في فنسين وتطلق له الحرية ، بعد ان
« تأخذ منه تعهداً آخر بتحقيق ما تكفل به لميشال لجاي . ولا ارى شيئاً آخر ازيده على هذا
« المرسوم الآن سوى اني اسأل الله ان يتولاك دائماً بحراسته ايها السيد دي شاتيني

« كتب في سان جان في لاي ٧ نيسان عام ١٦٤٠ ». (٢

وخرج الصهيوني من سجنه نهار عيد الفصح في ٨ نيسان من تلك السنة (١٦٤٠) وشكر اصدقاءه قادراً حبهم له وغيرتهم عليه الى تلك الدرجة . واصبح حراً يدعو بالنصر للحق والعدل الى ما شاء الله .

واقبل علامتنا بعد انعتاقه على لجاي يلحف عليه باتمام طبع الباقي من الترجمات قياماً بعهد كفلائه المحبين ، وعهده هو ايضاً للملك . لكن لجاي قد اخذ منه الحذر والتخوف من ان هذا الماروني ترافقه الذكرى الاليمة لما ناله بسببه من بلية ، فينتقم لنفسه بان يدس في تلك المطبوعات شيئاً من الترهات والمستقبحات ، افساداً للمشروع عليه وتضييعاً لجهوده ونفقاته الباهظة في سبيله . ولجاي يتوقع من الصهيوني اكثر من ذلك ، بعد ان اضاع نفقته به الى اقصى

(١ له لونغ ، ٤٠١
(٢ له لونغ ٤٠٠ وما يليه .

الحدود . ولذلك اخذ يحتال جهده ليؤجل الطبع ، ريثما يتوفق لرجل جدير يفحص اعمال الصهيوني وترجماته ، فيتقي بذلك حد الاجانب ، وشماتة اليهود به والارانقة ونقدهم . ولكن جانب التأييد للمحامي لجاي قد ضعف ، بعد انقاذ الصهيوني من السجن بفضل انصاره الميامين ، وصار يتعذر عليه (لجاي) ان يجد من انصاره في باريس ذلك الشخص للفحص المطلوب ، ولا سيما بعد وفاة جيرم بارنت الجدير بذلك ، وبعد ما وجد من إعراض دكترة السوربون عنه وتأييدهم لخصمه المترجم . اذن صار لزاماً على لجاي ان ينتظر مجيء العلامة ابرهيم الحاقلاني الى باريس للاغراض المتقدمة .

الحاقلاني في باريس

الموقف بينه وبين الصهيوني

طبيعي ان يكون مجيء العلامة ابرهيم الحاقلاني الى باريس ، في تلك الظروف ، غير مرغوب فيه لدى العلامة الصهيوني ، ولو كان وطنيه اللبناني وابن جلدته الماروني . ولا سيما لانه آتٍ على نفقة لجاي ولاجله لكي يكون عوناً له على الصهيوني . ولكن الاحداث التالية ستحقق الخلاف . فيتبين شرف نفس الحاقلاني الكبير ومرونته في ذلك الموقف الحرج بين لجاي ، المستنصر به معتمداً عليه الاموال كالمطر المدرار ؛ وبين الصهيوني ابن بجدته ورفيقه على مقاعد الدرس في رومية . وقد اوقف ابرهيم العقل الحكيم العالي يوفق بين العاطفة الاهلية الوطنية من جانب الصهيوني ، والارباح المادية الطائلة من جانب لجاي ؛ مما سنّه يقدر الاوساط الباريسية واجلالها واكسبه شهرة وسيعة هناك سجلها له تاريخ فرنسة الى جانب ما سجل للصهيوني في صفحات علمائها الاعلام .

والصهيوني ايضاً كان يثق كل الثقة بما تقدم عن زميله الحاقلاني . ولذلك رأيناه ، عندما تأكد عزمه على الحضور الى باريس ، يكتب اليه في ١٢ تموز عام ١٦٤٠ رسالة هذه ترجمتها .

« . . . بعد ان دبرت العناية الالهية فعُرفت الحقيقة واعيدت اليّ حريتي ، اخذوا يعارضونني مدّعين ان ما بيدي من الاصول والوثائق الخطية هي غير كاملة ، وان ترجماتي

« لم تنته بعد . وكذلك الذين يستفيدون الارباح الجزيلة من طبعة البوليكلوت قد توقّفوا « الآن عن اتمام العمل ، وبيما تأتيهم مخطوطات اخر عربية وسريانية ويستحضرون من رومية « رجالاً متضلعين من هاتين اللغتين . وقد عرفت ايضاً انهم كتبوا بهذا الشأن الى اخوّتك ايما « التزز . وعليه اذا كان راقك ذلك واعتمدت القبول به ، ارجو ان تأتي حالاً ولا تتأخر « قط . فانني سيكون لي بك منجاة عمالنا فيه من الاحزان والمتاعب الكبيرة . وتكون لي « اخوّتك سيفاً قاطعاً لحبل طويل من تسيفات وشاحنات جد عملة . »(١

ولما تقرر سفر الحاقلاني الى باريس ، بواسطة الاب موران ومساعيه المعهودة ، كتب اليه هذا الاب في تلك السنة عينها (١٦٤٠) ما ترجمته :

« . . . وانا اكيد مما يسلني في هذا السفر من هناء وسرور ، وانا سرور جداً بذلك . « وعليه انبهك ان تأخذ معك سفر استير وباروخ بالعربية ، مع ما يلزم من معاجم « وقواميس . . . » . (٢

وبما ان ابرهيم هذا كان منوط الامر حينذاك بجامعة البروبغندة التي هو من اساتذتها ، اقتضى ان يستحصل من دائرتها عطلة سنة كاملة . وغادر رومية الى باريس في منتصف فصل الشتاء (عام ١٦٤١) . وقد كتب هو ، في مقدمة له على احد مؤلفاته ، انه في باريس اذ ذاك بأذن من الحبر الاعظم والكرادلة ، وبامر من الكردينال دي ريشليو . على ان زميله الصهيوني رابه ذلك فطلب اليه اثباته بالبينات . فاجابه الحاقلي :

« انني لما اقبلت الامر بالمجيء الى فرنسة ، وانت تنسك الحت عليّ بذلك مراراً في « رسائلك العديدة ، حصلت على سنة عطلة كاملة من جمعية نشر الايمان المقدس ، حيث كان « قداسة البابا اذ ذاك . وقد اكدوا عليّ الرجوع الى رومية حتماً عند غاية عطلتي هذه . وكان « ذلك برسوم رسمي ليس هو بيدي الآن . واذا كنت غير مصدق ما اقول ، فسأريك « الرسوم بيني بعد شهرين » . (٣

ومن الكتب والاصول الخطية التي جاء بها الحاقلي الى باريس كانت نسخة الكتاب المقدس المعهودة لسركيس الرزي ، مطران دمشق ، وكانت على غاية من الكياسة في خطها وصدق نصها السرياني وضبطها . وقد اوصى بها ذلك

---

١) له لونغ ١٦٦

٢) له لونغ ١٧٠

٣) نفس المحل .

المطران ، عند موته في رومية عام ١٦٣٨ كما مر ، مع كل مقتنياته ، الى ابرهيم المذكور ، عربون محبة شديدة كان سيادته يحفظها له .

وما ان استقر المقام بالحاقلاني في باريس حتى عهد اليه لجاي بفحص كل ما قد طبع الصهيوني من البوليكلوت ، ومعارضة النصوص السريانية فيها بنسخة الكتاب الرزية . وكان ذلك ايضاً بتصديق الكردينال دي ريشليو وامره[1] . فقام بذلك ابرهيم القيام المنتظر ، وقد كلفه العمل خمسة شهور . ورضع تقريراً واسعاً عن دروسه ومعارضاته ملأه بالمديح والاطراء ، لكل ما عمل الصهيوني في بوليكلوت باريس وغيرها وقدمه الى اولياء الامر مؤرخاً في ١٥ كانون الاول عام ١٦٤١ . وهذه ترجمة بعض ما جاء فيه :

« ان ليونور دياب رئيس اساقفة ريس ، وجاك دي لبسكو مطران شارتر ، قد امراني
« باسم الكردينال دي ريشليو ان افحص النصوص العربية والسريانية وترجمتها الى اللاتينية ،
« اللتين مما من قلم الصهيوني ، وذلك في البوليكلوت الكبرى . فحصتُها ملياً وباعتناء كلي ،
« فوجدتها على تمام المطابقة للاصول المأخوذة عنها ووجدت الترجمات مرية فيها الامانة
« والدقة كل الرعاية . حتى انه يمكن القول بكل صواب ان ذلك المشروع هو جد خطير
« ويستحق ان يحل في صدره اسم صاحب الفخامة الكردينال دي ريشليو »[2] .

وعقيب ذلك الفحص تعاقد لجاي والحاقلاني على اتحاف الجمهور بما كان ينقص البوليكلوت من اسفار لجعلها كاملة . واتفقا على ترجمة ذلك الى اللاتينية ، اذا تمنّع الصهيوني عن تقديم ترجماته الى الطبع . اما تلك الاسفار المتعاقد عليها فهي : سفر الملوك الرابع ، وعزرا الكاتب ، واستير ، وطوبيا ، ويوديت ، وسفر المكابيين الاول والثاني . هذه الاسفار كان الصهيوني قد جيزها بترجماتها اللاتينية للطبع فكفى الحاقلاني مزاحمته عليها . ويقول دي فلافيني ان الصهيوني قد ادى خدمة جميلة الى الحاقلاني ، اذ اعاره نصوص سفر راعوث فطبعه ابرهيم باسمه هو[3] .

وقد كادت الامور اذ ذاك تؤدي الى خلاف بين الصهيوني والحاقلاني .

---

١) له لونغ ١٧١

٢) له لونغ ١٧٢

٣) المرجع الاخير عينه .

لكن الاخير تلافى ذلك بحكمته ، فدوّن في ٥ آب من تلك السنة (١٦٤١) اتفاقاً بينه وبين الصهيوني رجاي يحل تواقيعهم ، وفيه رضي الصهيوني بان يتم الحاقلاني سفر المكابيين الثالث ، خلواً من الترجمة اللاتينية ، وبان تنتهي الطبعة بسفر الملوك الرابع . وهكذا عرف الحاقلي العظيم كيف يحافظ على رضى الصهيوني وفضله الكبير في پوليكلوت باريس . ومن عمل ابرهيم ايضاً في ذلك المشروع ترجمة اسفار : استير ، وطوبيا ، ويهوديت من السرياني والعربي الى اللاتيني لان نسخ هذه الاسفار كانت تنقص الصهيوني ، على ما فات ذكره . وفي مدة اقامته تلك السنة بباريس ، ترجم عن العربي الى اللاتيني كتاباً مضمونه « عشرون رسالة للقديس انطونيوس الكبير ابي الرهبان » . ثم طبع كتاباً اخر صغيراً في فلسفة العرب . واغتنم مجلس المعارف الافرنسي وجود هذا العالم الماروني في باريس فشغّله في دوائره قسطاً من الايام ليس باليسير[1] .

واذ انتهت مأذونية الحاقلاني المعهودة بالاقامة في باريس ، عاد الى رومية معقود اللواء مجيلاً في كل ما انتدب له ، شأنه في كل مهماته . وفي الرسالة التي كتب الاب موران الى رئيس دير الصليب في اورشليم ، في ١٧ ك٢ عام ١٦٤٢ ، وقد ورد بيانها قبلاً ، وذلك على اثر رجوع الحاقلي الى رومية ، قال :

« . . . ان هذا العالم الماروني رجع الى رومية بعد ان انتهى اي عمل من طبع البوليكلوت الكبرى ، وذلك مراعاةً لشعور الصهيوني وعدم التعرض لراحته ومنازعته الفضل في ذلك المشروع الذي كاد يكون برمته من قلمه (الصهيوني) . وفضله فيه اصبح مشهوراً . . . »[2] .

اذاً كانت اقامة الحاقلي في باريس حينذاك سنة واحدة فقط (١٦٤١—١٦٤٢) . على انه قد عاد اليها عام ١٦٤٥ وقطنها الى عام ١٦٥٤ قاضياً تلك الحقبة خلفاً للصهيوني ، عقيب وفاته ، على منبر التعليم في جامعة السوربون ، ناشراً بالطبع نتاج قلمه من ترجمة وتأليف : فانه عام ١٦٤٦ ترجم مقدمة المجمع النيقاوي العربية الى اللاتينية وطبعها . وعام ١٦٤٧ طبع دفاعين ردَّ بهما على نلاڤيني نصير الصهيوني . وسنة ١٦٥١ طبع كتاب « علم التاريخ الشرقي » الذي

---

١) له لونغ ١٧٣

٢) له لونغ ١٧٥

ظهر بعدئذٍ للمرة الثانية في اللوفر عام ١٦٨٥ . وسنة ١٦٦١ طبع في فلورنسة كتاب ارخميدس في علم الجبر .

هذا كل ما ذكر له لونغ عن الحاتلاني في باريس رأينا ان نثبت مؤدّاه هنا: اولًا لما له من علاقة مكملة للكلام عن الصهيوني ؛ وثانياً ان فيه نقاطاً لم يهتدِ اليها من سبقوا الى البحث عن الحاتلاني العظيم .

مؤلفات الصهيوني

لقد مرَّ بنا عرضاً قدم نما انتج قلم الصهيوني من تآليف ورأينا ان المجلدات الستة التي اخرجها ذلك القلم الفياض ، في پوليكلوت باريس جعلت الصهيوني على ذروات عالية من مراتب الشهرة والمجد والاكبار . والان نبسط معرضاً آخر ، خارجاً عن البوليكلوت ، وافياً بجميع ما ترك علامتنا من الآثار :

١ً الاناجيل الاربعة

نظر الصهيوني في نصوصها العربية واجرى عليها تنقيحات واصلاحات عديدة هامة . ثم ترجمها الى اللاتينية وطبعها في رومية عام ١٥٩١ بعناية ومناصرة صديقه العلّامة يوحنا المسدات ريوندي السابق الذكر[1] . وقد اكّد هذا العمل العلّامة والتن الانكليزي المعهود ، في مقدمته على مشروعه « پوليكلوت لندرة » سنة ١٦٥٧ . اما الاب جاك له لونغ فيرتاب في صحة ذلك وينسبه الى العلّامة ريوندي، مستنداً الى حداثة سن الصهيوني اذ ذاك ، وهو لم يتم بعد ربيعه الخامس عشر . لكن له لونغ يقر في الوقت عينه ان الصهيوني اجرى على نصوص هذه الاناجيل الاصلاح والتنقيح . وتلك الاناجيل قد ادمجها الصهيوني باصلها العربي وترجمتها اللاتينية في پوليكلوت باريس .

٢ً الكتوس الماروني

اشتغل الصهيوني في درسها وتصحيحها ، وعمل في ترجمتها عن اصلها ، وطبعها الطبعة الاولى في رومية خلال السنين (١٥٩٢–١٥٩٦) . على رغم ما كان عليه وقتئذٍ من حداثة السن ايضاً حيال تلك الاعمال التي تقتضي من رجاحة

(١) له لونغ ٧٨ و١٢٢

العقل الوزن الكبير[1] .

٣ً ترجمة مار مارون بالسريانية

نقلها الصهيوني الى السريانية عن تاودوريطوس ، معاصر القديس مارون ، ومؤرخ حياته الاول . وقد اثبت هذه الترجمة بالطبع في آخر كتاب القداس الماروني الذي طبعه جرجس عميره (البطريرك فيما بعد) بمطبعة المدبشيين في رومية عام ١٥٩٤ بمعاونة واهتمام زميله ووطنيه الصهيوني ، وبعض رفاقهما. وقد شارك الصهيوني في هذه الترجمة ايضاً اثنان من اتراب تلمذته في رومية ١٨ : جرجس الكرمداني وميخائيل الادنيتي[2]

٤ً كتاب تعليم مسيحي

تأليف القديس بلرمينوس ، الكردينال اليسوعي من معاصري الصهيوني واصدقائه . ترجمه علّامتنا من الايطالية الى العربية بمشاركة زميله العالم القس نصرالله شلق العاقوري. وطبعه في رومية عام ١٦١٣ ، بمطبعة دي بريف المعهودة.

٥ً مزامير داود

كان نقله عربياً فترجمه الصهيوني الى اللاتينية . وطبع الاصل والترجمة برومية سنة ١٦١٤ في المطبعة المذكورة. وقد ساعده في ذلك ايضاً نصرالله شلق المذكور. وعلى قول العلامة السمعاني ان النص العربي في هذه المزامير مأخوذ عن اصل سرياني . وبعض النسخ من هذه الطبعة تحمل تاريخ سنة ١٦١٩ . وقد اخرجت تلك المطبعة جملة كبرى ايضاً من النسخ في النص العربي وحده ، وذلك لفائدة نفوس الشرق[3] .

٦ً النحو العربي او صناعة النحو

كتاب في اصل النحو ألّفه الصهيوني وطبعه في باريس عام ١٦١٦ ، كما ورد بيانه . وهو اول كتاب عربي في باريس[4] وقد شاركه بي في هذا الكتاب

---

١) ذكر ذلك المسل للصهيوني حضرة العالم الشوري انطاطيوس زياده في مجلة « فينيقية » الافرنسية السنة الثانية [١٩٣٩] ١٦

٢) اطلب « الطائفة المارونية والرهبانية البسوعية » للاب لويس شيخو ٨٧

٣) له لونغ ٧٨ و١٢٢ . وميشو ١٥ : ٢٢٦

٤) شيخو في المشرق ٣ [١٩٠٠] ٨٤

رفيقه المعهود الشماس يوحنا الحصروني (المطران فيما بعد) . وجعله مستهلاً لاعماله في باريس وواسطة للتعرف الى الاوساط العلمية هناك. ورفعه تقدمة الى صديقيه وتصيريه العظيمين الكردينال دي بيرون ، والرئيس جاك اوغست دي تو . وهذا الكتاب هو بقطع ربع ذو خمسة اجزاء.[1]

ومكتوب عليه باللاتينية ما ترجمته : « جبرائيل الصهيوني مدرس العربية والكلدانية في كلية باريس الملوكية ، ويوحنا الحصروني ماروني من جبل لبنان مدرس الفلسفة واللاهوت» . وله مقدمة ذات خمس صفحات ، تليها توطئة للقارئ ذات صفحة واحدة . وعلى اثر هذه التوطئة تقريظ في الشعر اللاتيني ، موطأ له في اللاتينية بما معناه :

« الى الرجل العالم جبرائيل الصهيوني المعلم الملوكي للغة العربية ، ويوحنا الحصروني الماروني » .

اما الشعر التقريظي فهذه ترجمته :

« ظهرت على الارض جاهلاً اللغة العربية .
فجعلت الناس يعجبون كيف ان « النالين» يتكلمون لغة بلاد « تير » (مدينة صور) .
عجب « النالون » ايضاً كيف صرت علّامة في اللغة اللاتينية .
فجعلت العربيّ يصير غالياً والغالي عربياً
اذن صار واجباً ان يظهر ضلال اهل ليبية ويُرفَع حتى السحاب .
فتتجلى التراضع على الاوراق اذا كان ثم شيء يعجبها» .

٧ ترجمة المشتاق في ذكر الامصار والآفاق

هو كتاب جغرافية عربي يبحث في بلاد نوبية التي قاعدتها الخرطوم ، وموقعها بين مصر والحبشة . ألّفه الشريف ابو عبدالله محمد الادريسي ، احد ابناء تلك البلاد ، ومن مواليدها وكانت وفاته عام ٥٦٥ﻫ (١١٨٠م) . وترجمه الصهيوني ، بمعاونة الاب الحصروني المذكور ، الى اللاتينية في رومية سنة ١٥٩٢ ثم طبعه في باريس عام ١٦١٩ . وفي مقدمته يدعو الصهيوني نفسه « معلم وترجمان ملوكي » في العربية والسريانية[2] . ثم جعل في ذيل هذا الكتاب نبذة ضمنها

---

١) له لونغ ١١١ ، و١٥٢ . وميشو في نفس المحل.
٢) له لونغ ١١٥ و١٥٢ . وميشو في المحل المذكور اخيراً.

فوائد جلى عن مواضيع شتى[1] .

٨ بحث في بعض المدن الشرقية وديانة اهلها وعاداتهم وآدابهم

« وضعه في اللاتينية الابوان جبرائيل الصهيوني ، استاذ ملكي ، ويوحنا الحصروني ترجمان ملكي الماروني اللبنانيان ، مطبوع في امستردام بهولندة عام ١٦٣٣ » وهو صغير القطع ، كانه من كتب الجيب ، يضم مائتين وسبعاً وتسعين صفحة . ذكره العلامة ميشو بين كتب الصهيوني فقال عنه انه طبع اكثر من مرة في غير هولندة ، وان واضعيه استندا على بعض المؤلفين في هذا العلم (الجغرافي) امثال يعقوب بن سيد علي ويوسف بن عبد اللطيف ومحمد بن قاسم[2] .

٩ مزامير داود بالسريانية

ترجمه الصهيوني الى اللاتيني وطبعه في باريس سنة ١٦٢٥ ، معتمداً في ذلك على ثلاث نسخ منه ، اهداه اخداها السيد مارونيو مطران لفكوسية عاصمة قبرس . ووضع له المترجم مقدمة علمية ضافية اغناها بالفوائد الجلى . وحجمه قطع ربع[3] . وفي المكتبة المادبشية ، في فلورنسة بايطالية نسخة من هذا الكتاب مخطوطة بيد الصهيوني ، بتاريخ سنة ١٦١٢ وذلك ما تنطق به حاشية على الصفحة الاخيرة من هذه النسخة[4] .

ومن هذا الكتاب نسخة اخرى سريانية خطية محفوظة الى اليوم ، في مكتبة دير الشرفة لبطريركية السريان الكاثوليك ، قرب سيدة لبنان في حريصة بكسروان ، تحت رقم ١/١٥ . وعلى الصفحة الاولى كتابة سريانية ننقل معناها بالحرف كما يلي : « ان القس جبرائيل الصهيوني الشنفاني ترجم هذه المزامير من السرياني الزهاوي الى اللاتيني في باريس سنة ١٦٢٤ م ، في عهد لويس الثالث عشر ملك فرنسة وهيأها للطبع »[5] . وقد ادمج الصهيوني هذه المزامير في

١) دائرة المعارف الكاثوليكية بالانكليزية ، طبعة نيويورك ، حرف G .

٢) ميشو ايضاً ، نفس المرجع .

٣) له لونغ ١١٥ و١٥٢ . وميشو في المحل المذكور اخيراً .

٤) العلامة الدبس في « الجامع المفصل . . . » ٢٨٣

٥) طالع « الطرفة في مخطوطات دير الشرفة » لحضرة صديقنا العالم الخوري اسحق ارملة السرياني ، ص ١٤

پوليكلوت باريس .

ولما جاء العلامة والتن الآنف الذكر يطبع پوليكلوت لندن ، على ما سبق ذكره ، اخذ عن علّامتنا الصهيوني سفر المزامير هذا وجعله في مشروعه . ثم جاء العلّامة إلمس سنة ١٨٢٥ ، واقتفى اثر سالفه والتن ، فاستعان باثر الصهيوني المعهود ، آخذاً عنه تلك المزامير السريانية وترجمتها اللاتينية التي بقلم الصهيوني[1] .

وعام ١٩٠٤ جاء احد علماء عصرنا الاعلام ، الدكتور بارنس ، من المعلمين البارزين في جامعة كمبردج بانكلترة ، وطبع سفر المزامير بحسب الترجمة السريانية البسيطة ، وفقاً لنص السريان المغاربة ، واغناه بمقدمة وحواشٍ ولوائح قيمة . وقد اطلع ، في سير مشروعه هذا ، على اعمال من تقدموه في طبع المزامير . فذكر بين اعلام ذلك المضمار علامتنا القس جبرائيل الصهيوني ، وذلك في مقدمته صفحة ٢٧—٣١ ، وقال : « ان الصهيوني عندما طبع المزامير في باريس ، كان منه بين يديه ثلاث نسخ مخطوطة بالسريانية ، احداها يعقوبية والثانية نسطورية والثالثة مارونية » .

وهذه النسخ هي التي ذكرها الاب لو نغ كما قدمنا منذ هنيهة . على ان الدكتور بارنس حاول ان يغمز من قناة العلامة الصهيوني ، فنسب اليه « الجبن وعدم الجرأة في النقد كما يجدر بطابعي الكتب ، وانه لم يجرب ان يطبق قواعد النقد على تلك النسخ ، بل اكتفى بالنص الماروني . . . » وفضّل على طبعة الصهيوني هذه عمل العلامة توما اربانيوس (معاصر الصهيوني عن قرب) البروتستنتي ، في سفر المزامير الذي طبعته امرأته بعد موته عام ١٦٢٥ ، في ليدن من اعمال هولندة .

واخيراً جاء حضرة العالم المدقق الخوراسقف ميخائيل الرجي واطلع على طبعة بارنس هذه ، وعلى ما فيها من تحامل على علامتنا الصهيوني ، ومن تفضيل اربانيوس عليه . فانشأ مقالاً مستفيضاً مستطاباً في مجلة المشرق : ٣٢ (١٩٣٤) ٣٣٧—٣٦١ ؛ درس فيه طبعة بارنس هذه درساً علمياً رائعاً ، ودافع عن الصهيوني

---

١) المشرق ٣٢ [١٩٣٤] ٣٢٦

بحجة ساطعة قاطعة.[1]

١٠ قصيدة فلسفية سريانية في الحكمة الالهية

هي قصيدة طنّانة بالسريانية من وضع العلامة غريغوريوس بن العبري الشهير. ترجمها الصهيوني الى اللاتيني وطبعها، باصلها السرياني وترجمتها معاً، في باريس سنة ١٦٢٨، في ٣٦ صفحة للاصل والترجمة. وهي من قطع ربع[2]. والى اليوم توجد منها نسخة خطية، كتبها الصهيوني بيده، في مكتبة باريس الوطنية تحت رقم ٢٧١ من المخطوطات السريانية. وفي هذا المحل عينه من هذه المكتبة، تحت رقم ٢٤٠ مخطوط آخر بيد الصهيوني اسمه «مختارات» من كتاب «الاكزامرون» (Exameron) او الاكساميرون الذي معناه «ستة ايام الخليقة» اي اخبار الخليقة منذ تكوين الملائكة الى ان انتهى الله من الخلقة في اليوم السابع تأليف يعقوب الرهاوي.

١١ المعاهدات والاتفاقات بين النصارى والمسلمين

هو كتاب عربي جمعه الصهيوني في اللاتينية وطبعه في باريس طبعتين: الاولى سنة ١٦٣٠، والثانية عام ١٦٣٤، وذلك في العربي واللاتيني معاً. وهو بقطع ربع[3].

١٢ دفاعات الصهيوني

هي ثلاثة دفاعات ردّ بها الصهيوني على ما وُجّه اليه من تهم، وفنّد بها ادعاءات لجاي وڤيتري. وضعها بالفرنسوية، واثبتها له لونغ في الصفحات (٣٨٧–٣٩٥ و٤٣١–٤٦٤).

١٣. وللصهيوني رأي، مشهور في عالم التاريخ، هو ان لفظة «كرشوني» هي نسبة الى «كرشون» او «جرشون» احد سريان ما بين النهرين وهو اول من اتخذ الحروف السريانية لكتابة اللغة العربية. وان هذا الرجل قد ظهر بُعَيد الفتح العربي الذي وقع عام ٦٣٦ م. وهذا الرأي وجيه بين آراء العلماء العديدة وقد تضاربت كثيراً حول ذلك الموضوع (مجلة المشرق: ٧ (١٩٠٤): ٦٨٨)

---

١) اطلب ذلك في المشرق، المحل المذكور.
٢) له لونغ ١٥٢. وميشو، المحل عينه.
٣) ميشو ايضاً: نفس المرجع.

علاقة الصهيوني ببلاده وطائفته

شدَّ ما بحثنا في مظانّ التاريخ عن عصر العلامة الصهيوني ، واسترشدنا ارباب التنقيب المدققين ، وقلبنا اضابير الاوراق والسجلات في قاطر المخطوطات البطريركية المارونية ، علّنا نعثر على اثر ما من علائق مترجمنا بطائفته وروسائه فيها ، فلم نجد سوى رسالة بالسريانية ، ارسلها ، من مدرسة راقانه في ٥ ايلول سنة ١٦٤٧ الى المترجم ووطنيه سركيس الجبري ، القس يوسف الدمشقي ، بن يوحنا بن موسى الاهدني المتكنين بعائلة « قطون » ، مدير المدرسة المذكورة ومدرس السريانية والعربية فيها . وفي ذيل هذه الرسالة حواشٍ وعبارات من تلامذة تلك المدرسة مع تواقيعهم بخطوط ايديهم .

والرسالة جواب على كتاب وجهه الصهيوني الى القس يوسف المذكور يسأله بها عن احوال لبنان والطائفة . مما يدل صريحاً ان المترجم ظل على علاقة ببلاده وقومه ، رغم بعاده السحيق في محيط ايطالية وفرنسة .

وقد نشر هذه الرسالة بنصها السرياني حضرة العالم البحاثة الاب ابرهيم حرفوش المرسل اللبناني ، في مجلة « المنارة » السنة الاولى (١٩٣٠) ٢١٣–٢١٦ وعنّبها بترجمتها الى العربية مراعياً فيها الحرفية ما امكن .[1]

وقد ذهب في تعليقه عليها ، ان الصهيوني والجبري كانا مقيمين في رومية ، عهد كتابة الرسالة[2] . والحال ان المعلومات التي بيدنا لا ذكر فيها لوجود الصهيوني في رومية حول تاريخ تحرير الرسالة (١٦٤٨) ، بل تجمع كلها انه توفي في باريس عام ١٦٤٨ ، اي عقيب تسطير الرسالة ببضعة شهور ، وذلك بعد ان كان قد انهكه التعب وفقدت عيناه النور لشدة ما سامها اجهاداً في الدرس والتدريس والكتابة .

وفي رأينا الضعيف ان الرسالة وُجهت الى الصهيوني وهو في باريس ، متشوقاً في ايامه الاخيرة ومرضه وعجزه ، قبيل وفاته ، الى الوقوف على اخبار وطنه لبنان .

---

١) « المنارة » ١ [١٩٣٠] ٢١٦–٢١٨

٢) المنارة ، في نفس المحل ، ٢١٣

ايام الصهيوني الاخيرة ووفاته

تفيد المعلومات التي بين يدينا انه انهى اعماله في البوليكاوت على آخر مرحلة من القوة والعافية منهوك الجسم خائر العزيمة. وقد ادّى به الدرس والتدريس والتحبير والتأليف الى انطفاء النور في عينيه[1]. وجرّ ذيل حياته الاخير اعمى ضريراً. وما زال العجز يتفاقم عليه حتى اعيى جسمه عن حمل نفسه الكبيرة وعلومه الغزيرة.

وكانت وفاة القس جبرائيل الصهيوني في باريس سنة ١٦٤٨[2] مغموراً بحسرات محبيه واسف عارفيه وقادريه من ارباب العلم واولي النبل والتفوق الذين كانوا على اوثق العلائق به[3].

ولم ينفرد الصهيوني بان يكون وحده ضحية الدهر واطماعه، يستهدف خصومه وحساده لمناوئتهم، ويبخسون حقوقه. بل قد وجد له نِدٌّ من معاصريه وقع له نفس ما اصاب المترجم، وانطبعت حياة كليهما بطابع واحد، ذلك الرجل هو العلّامة ادمون كستيل الذي كان العامل الجوهري الاكبر في پوليكلوت والتن الإنكليزية المعهودة. وكل ما حدث للصهيوني في پوليكلوت باريس، هو عينه جرى لادمون كستيل في پوليكلوت لندرة، مما جعل قوة الشبه في حياة الرجلين بليغة جداً. اذ عومل كلاهما ببخس الحق وغمط الفضل والتعب ومنع الاجر. وتظلم الثاني كالاول من خرق الوعود والاتفاقات معه. وان ما تناوله من اجرة لا يتكافأ مع استحقاقه وجهوده التي تجاوزت امكانه فقضت على بصره ايضاً، نظير زميله الصهيوني، حارمة اياه نور النهار[4].

بيد ان اولياء الامور في باريس قدروا فضل الصهيوني على عاصمتهم وبلادهم واقروا به بعد موته اقراراً صريحاً مؤبداً الى ما شاء الله، وهو انهم نقشوا اسم «العلامة القس جبرائيل الصهيوني الماروني الاهدني الكسرواني» على بلاطة فوق المدخل الكبير لجامعة السوربون الملكية، المعروفة اليوم بكلية باريس،

---

١) له لونغ ٣٠٠. وميشو ١٥ و٢٢٦

٢) له لونغ ٣٠٠

٣) دي لاروك في كتابه المنوه به ٢: ١٢٤

٤) له لونغ ٣٠٠. وميشو في المرجع المعهود.

وذلك بين اسماء العلماء الذين توالوا على منابر الجامعة منذ نشأتها[1]. وبين تلك الاسماء ايضاً اسم العلامة الماروني الكبير ابرهيم الحاقلاني، خليفة الصهيوني على منابر الجامعة[2].

ولم يشذ مواطنو الصهيوني عن تكريمه فقد تبرّع السيد بطرس الشيخ الدويهي من تجارنا اللامعين في المكسيك باكلاف هذا التمثال الجميل الذي نصب في احدى الساحات العامة تخليداً لذكراه.

١) قد اسها في اوائل القرن ١٣ روبير دي سوربون من مشاهير كهنة فرنسة ونبلائها والمعرف الخاص للملك فرنسة القديس لويس. وحملت مؤسسة اسم عائلته من بعده، وهي من اعظم واشهر جامعات العلوم في الدنيا.

٢) رستاوير في «تقاليد فرنسة في لبنان» ١١٦ و١١٧